

تأليف
د/ السيد رزق الطويل

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام ... دعوة الحق

دكتور السيد رزق الطويل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَا كَانَ إِبْرٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِياً ، وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(سورة آل عمران الآية ٦٧)

﴿قُولُوآ ءامَنَا بِاللهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنْزِلَ إِلىٓ إِبْرٰهِيمَ وإِسْمٰعِيلِ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسٰى وَعِيسَى وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

(سورة البقرة الآية ١٣٦)

إهـــــــداء

إلى والدى العزيز الذى لحق بجوار ربه ، وأنا فى رحاب أم القرى ، وفى جوار البيت الحرام دون أن أسعد باللقاء الأخير ، لكنه تقدير العزيز العليم وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد أعطى وبذل عطاء الأبوة بلا حدود ، وعطاؤه بقلبه كان أكثر وأغزر ، إذ كنا فى ريعان الصبا ، وشرخ الشباب نطلب العلم فى رحاب الأزهر ، شيخ الجامعات .

إننى بهذا العمل أحيى جهاده ، وجهاد الوالدة بارك الله فى عمرها ، وأقول ما وصانا به رب العالمين : **﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيراً﴾**

أسأل الله ربى أن يرحمه ، وأن يجزل مثوبته ، ويرحم كل عزيز فقدته ، وأنا فى جوار هذا البلد الطيب . إن ربى سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهـــيد

هذا الكتاب

أحمد الله حمداً يليق بجلاله ، وعظيم انعامه ، وواسع فضله ، ارتضى لنا الاسلام دينا نهتدى بهديه ، ونسير على شرعه ، ونسترشد بمواعظه ونصحه ، ونحقق الفلاح الذى نرجوه بالاستمساك به ، والتشبث بحقائقه الخالدة ، وقيمه السامية ، ومثله العليا وأصلى وأسلم على نبيه ومصطفاه محمدٍ عليه الصلاة والسلام ، حمل آخر رسالة تدعو إلى الدين الحق ، وتلقى كتابها المهيمن من لدن حكيم خبير ، وقدمه للناس سلوكاً حياً راشدا يتمثل فى عقيدة قويمة ، وعبادة صادقة ، وخلق كريم فكان بحق كما وصفه الله القدوة الطيبة والأسوة الحسنة . اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على طريقه واقتدى بسنته إلى يوم الدين .

وبعد :

فالاسلام دعوة الحق

قضية نطرحها فى حياتنا المعاصرة التى تموج بشتى الأفكار

والنظريات وتصطرع فيها المذاهب ، وتتحارب المبادىء ، وتعترك العقائد التى اتجه إليها الإنسان بمؤثرات البيئة ، أو الوراثة عندما كان بمعزل عن الفطرة الهادية التى فطر الله الناس عليها ، كما جاء فى الحديث الشريف «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذيْن يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه**»[1]

وعندما نطرح هذه القضية ، أو قل عندما نقدم للوجود هذه الحقيقة لا نقدم جديداً ، إذ هى حقيقة قديمة قدم الوجود الإنسانى على الأرض ، وتوافرت الأدلة على صدقها فى فترات التاريخ المختلفة ، بيد أن انصراف الإنسان عنها بحياته المادية اللاهية ، وما استتبع هذه الحياة من أفكار ملحدة سواء كانت تسير مع تيار المادة أو تعاكسه كالماركسية من جانب ، والرهبانية من الجانب الآخر . كل هذا يجعلنا نطرح هذه القضية وكأنها جديدة ، ونعيد التدليل والبرهنة عليها وكأن البشر ــ بحكم ما عصف بهم من مذاهب ــ ومنهم أبناء هذه العقيدة فى ريب منها .

إنها الغربة التى يعيشها الإسلام بين البشر وفيهم أهله .

فنحن ننظر إلى عقيدة الإسلام إذا ما أُجْلِيَت لنا خالصة بعيدة عن الشوائب نظرة عجب ودهشة ، لأن واقعنا يبتعد كثيراً عنها ! ! !

ونحن ننظر إلى أحكام الإسلام وتشريعاته ــ وفيها عناصر الصلاح إلى يوم القيامة ــ نظرة شك وتردد وكأنها بقية من أساطير

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ ١ ص٣٤٦ ، ورواه البخارى فى كتاب الجنائز . وكذا الموطأ فى باب الجنائز أيضا بلفظ ﴿**فأبواه يهودانه أو ينصرانه**﴾ .

القرون الأولى ! !

والخلق الإسلامى فى العلاقات بين الأفراد والجماعات نفتقده تماماً ! !

وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذه الغربة التى تنتاب الإسلام الحق بين حين وآخر ؛ إذ يقول فيما رواه عنه أبوهريرة : «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ، كما بدأ فطوبى للغرباء ، الذين يُصْلِحُونَ ما أفسد الناس ، ويَصْلُحُونَ عند فساد الناس**»(١)

وتقديم هذه القضية يحتم علينا تحليلها ، وشرح طرفيها ، وطرفاها هما : الإسلام من ناحية ، والحق من ناحية أخرى .

وعندما نربط بين الإسلام والحق لا يقوم هذا الربط على مجرد عاطفة فرضها علينا الايمان بهذه العقيدة ، وإنما يقوم على شواهد مهمتنا هنا إبرازها وتذليلها ، ليتأكد الحق من قلوب أهله ، وليؤمن به من هو فى عداء معه ، أو كما قال رب العالمين فى محكم كتابه ﴿**لِيَهلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾(٢)

وعندما نقول الإسلام دعوة الحق إنما نعنى أن الاسلام وهو الدين الذى ارتضاه الله للبشرية منذ خلقها حتى يرث الله الأرض ومن عليها يقوم على حقائق ثابتة ، وأصول راسخة ويعالج قضايا صالحة ومُصْلِحةً ، مصدرها رب السموات ، ورب الأرض رب العالمين .

فكل دعوة للحق هى منه .

---

(١) أخرجه مسلم ـ كتاب الإيمان ، وسنن ابن ماجه كتاب الفتن .

(٢) سورة الأنفال/٤٢ .

وكل دعاء بالحق يجب أن يتجه إليه وحده .

والاتجاه بالدعاء إلى غيره ضرب من العبث ، أو هو نفخ فى رماد ، وصراخ فى واد ، واجتياز لمفازة شاسعة على راحلة عرجاء ، أو كظامئ أضناه العطش ، ولكن حمقه جعله يمد للماء يديه ، يظن أن ذلك يكفيه ليصل الماء إلى فيه ، فيذهب العطش ، وترتوى بالماء العذب عروقه . واسمع هذه القضية يقدمها الحكيم الخبير : ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ**﴾ [1]

وسوف نبدأ بتحليل جانبى القضية لغوياً ، ومن خلال الاستعمال القرآنى لها وسيتبين لنا أن الإسلام والحق بمفهوميهما اللغويين ، ومؤداهما الدينيين ينتهيان إلى غاية واحدة ، ويلتقيان على خصائص متوافقة .

وفى ظلال هذه القضية الكبيرة التى تعى حقيقة من أعظم حقائق الوجود سنتناول عدداً من القضايا ندعم الصلة ، أو تكشف عن أبعاد الوثاقة بين طرفى القضية ، أعنى الإسلام والحق .

وهذه القضايا هى :

إن الدين عند الله الإسلام ، والإسلام منهج وتاريخ

علاقة الإيمان بالاسلام .

الاسلام وعقيدة التوحيد .

---

(١) سورة الرعد/١٤ .

السنة هى المنهج الأمثل لتطبيق القرآن الكريم .

الإسلام والشريعة الهادية .

الاسلام والإيمان بالسنن الكونية .

لعلى بهذا التقديم أكون قد جلَّيت خطة هذا الكتاب ، وقدمت للقارىء ملامح هذا البحث عسى أن يجد فى رحابه ضالته التى ينشدها من التعرف على وجوه القوة والرسوخ فى الدين الذى آمن به ، وأعطاه قلبه ووجدانه ومحياه ومماته ، وسره ونجواه ، وماله وولده .

وصدق رب العالمين : **﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**[1]

وبذلك يدرك المسلم حقيقة لا مناص له من إدراكها وهى عظمة الإسلام فى مواجهة الفكر البشرى ، أو ما يسمى (بأيدلوجية) الشرق أو الغرب فشتان ما بين الثرى والثريا :

الله أكبر إنَّ دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنديلا

اللهم اهدنا فيمن هديت .

وعافنا فيمن عافيت .

وتقبل منا عملنا ، واجعله خالصا لوجهك الكريم .

---

(١) سورة الأنعام من ١٦١ ـ ١٦٣ .

رب أغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .
والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل ..

من جوار بيت الله الحرام
غرة رجب عام ١٤٠٥هـ
مارس عام ١٩٨٥م

دكتور السيد رزق الطويل
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات
العليا ـ كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

الإسلام والحق ... وجهان لحقيقة واحدة

١ ـ تحليل لغوى
٢ ـ تتبع للاستعمال القرآنى
٣ ـ مقاييس الحق فى التصور الإسلامى

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

(سورة آل عمران الآية ٨٥)

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ؟﴾

(سورة الجاثية الآية ٦)

الإسلام ... الطرف الأول من القضية

نعالج فى هذا الباب كلمة الإسلام من الناحية اللغوية وفى اطار الاستعمال القرآنى لنؤكد بكل ما نملك من حجج علمية ، وبراهين عقلية ، وشواهد واقعية الصلة الوثيقة بين الإسلام الدين الذى اختاره الله للبشر ، والحق الذى هو أمثل قيمة وأثبتها فى هذا الوجود .

ولنبدأ بالتحليل اللغوى لهذا الجزء من القضية .

لكمة الإسلام : فى اللغة :

قال ابن فارس : السين واللام والميم أصل معظم بابه من الصحة والعافية ، قال أهل العلم : الله جل ثناؤه هو السلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص ، والفناء ، ومن بابه أيضاً : الإسلام ، وهو الانقياد ؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع والسَّلمَ : السلف ، كأنه مال أسلم ولم يمتنع عن إعطائه . ويمكن أن تكون الحجارة سميت سِلاَما ؛ لأنها أبعد شيء فى الأرض من الفناء لشدتها وصلابتها . والسُّلَّم معروف ، وهو من السلام ؛ لأن النازل عليه يرجى له السلامة .[1]

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ٣ ص ر٩ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الحلبى .

ويقول الزمخشرى : أسلم وجهه لله أخلص له ، وأسلم السلك الجُمَان بمعنى ملازمة حبات اللؤلؤ للسلك انتظمت عليه ..[1]

ويقول الفيروز بادى : أسلم انقاد وصار مسلما ، وأسلم العدوَّ خذله ، وأسلم أمره إلى الله أى سلمه ، واستسلم : انقاد .

والسلام من أسماء الله تعالى ، والسلامة : من العيوب والآفات ..[2]

من تتبع المعانى اللغوية للفظ الإسلام ... فى المعاجم اللغوية المختلفة ، وفيما ذكرناه مجرد مقال فحسب يتبين لنا أنها باستعمالاتها المختلفة تدور حول معانى : الإخلاص والملازمة والانقياد . والانصياع التام لمن تسلم له ، مع البعد تماما عما سواه ؛ ولذا تسمى العرب ـ كما رأينا ـ البعد عن الأمراض ، والتنائى عن الأدواء والآفات «سلامة» .

وإذا كان استعمال العرب لهذه الكلمة يعنى أنها تحمل هذه المعانى الكريمة ، والكبيرة فإننا نحس خطورة شأنها ، وسمو قدرها ، وتميزها بما تحمله من إيحاءات عرفت بها بعض ألفاظ اللسان العربى .

وعلى ضوء هذا نستطيع الإجابة عن هذا السؤال .

كلمة الإسلام علم على الدين الحق .

لماذا اختار الله تعالى كلمة «الاسلام» عَلَمًا على دينه الحق ، الذى ارتضاه للبشرية منذ خلقها وإلى أن تقوم الساعة ؟

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى مادة (سلم) .

(٢) القاموس المحيط جـ ٤ مادة « سلم » .

وقبل الإجابة عن السؤال أسوق الآيات التى تفيد أصطفاء رب العزة لهذه الكلمة عَلَمًا على دينه الحق الذى ارتضاه لهداية البشر .

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ﴾ (١)

ويقول سبحانه : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ (٢)

ويقول جل شأنه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً﴾ (٣)

كما يقول : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ (٤)

ثم نجيب عن التساؤل فنقول : إن هذه الكلمة تعبر فى دقه واحكام عن جوهر العقيدة ، ومناط التدين بأن يخلص المرء عبوديته ، ويسلم وجهه وقلبه لله رب العالمين .

وفرق كبير بين أن يكون العبد سلما لربه ومولاه ، وأن يكون موزَّع القلب بين الإله الحق ، وما أوقعه فيه هواه من آلهة باطلة .

ولا شك أن الإنسان بالإسلام لله يكون أحسن حالا ، وأسعد مآلاً ، وأبعد عن المآثم والضلالات ، وبالشرك يكون شراً مكانا وأضل سبيلا .

وقد ضرب الله فى ذلك المثل لقوم يعلمون ، فقال سبحانه :

---

(١) سورة آل عمران/١٩ .
(٢) سورة آل عمران/٨٥ .
(٣) سورة المائدة/٣ .
(٤) سورة الحج/٧٨ .

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً ، رَجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ، ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [١]

وتأكيداً لما قدمناه من مكانة تعبيرية ولغوية للفظ «الاسلام» ولما اجتهدنا فيه من محاولة استنباط الحكمة فى اختياره علما على دين الله نحاول أن نتبع اللفظ بمشتقاته المختلفة فى استعمال القرآن الكريم .

وسيمنحنا هذا المنهج ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ عدداً من القضايا الهامة نستطيع أن نفصل القول فيها .

لفظ الإسلام فى القرآن .

ورد هذا اللفظ بمشتقاته المختلفة بالصورة الفعلية (سَلِمَ ـ أَسْلَم ـ يُسْلِم ـ استسلم) وبالصورة الاسمية (سليمٌ ـ سَلَمٌ ـ سُلَّمٌ ـ مسلم) فى أربعين ومائة موضع من كتاب الله تعالى .

وهى فى استعمالاتها المتنوعة تؤدى المعانى الآتية :

الصيغة الأولى : سلم ـ سلاما ـ سلامة .

والمعانى التى تؤديها تدور حول الخلو من الموانع والبراءة من الآفات والأمراض ومن أمثلتها فى القرآن قوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [٢] ومعناها أن هؤلاء الذين عجزوا عن السجود يوم القيامة ، عقابا لهم ، دُعُوا إليه من قبل فى دنياهم ، وكانوا أصحاء ، خالين من العوارض والموانع .

وصلة هذا المعنى بالإسلام : تظهر فى أن الاسلام يحتم براءة

---

(١) سورة الزمر/٢٩ .

(٢) سورة القلم/٤٣ .

المسلم من آفات الشرك ، ومظاهر الوثنية حتى يصح إسلامه لله رب العالمين .

وإذا كانت السلامة صفة لقلب فالمراد بها فى القرآن سلامته من الشرك ، ولتعلق بغير خالقه ، ولهذا كانت مناط النجاة فى الموقف العظيم كما كانت معلما لأهل الخير والفضل من عبادة .

أما كنها مناط النجاة ، فيبدو ذلك واضحاً فى قوله سبحانه : **﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ ولاَ بَنُونَ إلاّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[1]

ومن قول رسول الله ﷺ : **«ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب»**[2] .

والقلب الذى يبوأ هذه المكانة الرفيعة يراد به العقل فى البيان القرآنى ، كما يؤكد ذلك الشواهد المتعددة فى الكتاب العزيز[3]

وأما أنها صفة لأهل الفضل من عباد الله فقد وصف الله بها أبا الأنبياء ، النبىّ الأمة والإمام ، إبراهيم عليه السلام فقال : **﴿وَإنَّ مِنْ شيعَتِهِ لإبْرٰهِيمَ ، إذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[4]

والسِّلم أو السَّلْم ـ بكسر السين وفتحها ـ يعنى السلامة من الحروب وويلاتها ، والخلود إلى الأمن ، أو المهادنة والصلح .

وهذا المعنى تحمله الآيات التالية :

---

(١) سورة الشعراء/٨٩ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى عن المغيرة بن شعبة .

(٣) من هذه الشواهد قوله تعالى فى سورة الأعراف **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾** وفى سورة الحج **﴿لهم قلوب لا يعقلون بها﴾**) .

(٤) **سورة الصافات**/٨٣ ـ ٨٤ .

﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[1] والمراد إذا اتجهوا لها وآثروها فاتجه إليها معهم ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾[2] والمقصود بالسّلم هنا الخضوع والاستسلام ؛ ولذا جاء فى هذه الآية منهيا عنه ، أما فى الأولى فكان بصورة الأمر ؛ لأن المسالمة تكون عن قوة واعتزاز .

ويقول تعالى : ﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾[3] أى تركوا القتال . ورضوا بالصلح .

هذه الآيات التى قدمناها وفيها مشتقات تتشابه فى البِنْية اللفظية مع لفظ «الاسلام» تدعم الإيحاءات التى يحملها لفظه من أنه يحمل سلامة القلب والجسد وسلامة المجتمع من البغى والعدوان ، والتحاسد ، والتباغض ، والتقاطع ، ونكبات الحروب الظالمة .

ويبدو هذا واضحاً فى قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[4] والسلم هو الإسلام ؛ لأنه يحقق الأمان والنجاة ، ولأن الإيمان وحده لا يحقق أمنا . إنما يحقق ذلك إذا لم يلبس بظلم بأن كان مؤيدا باسلام يحقق إخلاص العقيدة لله .[5]

---

(١) سورة الأنفال/٦١ .

(٢) سورة محمد/٣٥ .

(٣) سورة النساء/٩٠ .

(٤) سورة البقرة/٢٠٨ .

(٥) دليل ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ الآية ٨٢ راجع تفسير القرطبى وابن كثير للآية

وبهذا نستطيع أن نصل إلى نتيجة حاسمة : السلام مع الإسلام لا يفترقان ، سلام المسلم مع أخيه الذى رفع شعار الإسلام ، وسلامه مع كل إنسان لم يصدر عنه بغى ولا عدوان ، ولكون السلام شعار المسلمين لا ينبغى أن نرتاب فيمن رفع لواءه ، ونطق بكلماته ، يقول تعالى : ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [1]

وهو حق لكل مؤمن ينبغى أن يسمعه تحية من أخيه المؤمن ، تدعم باستمرار ما بين المسلمين من روابط الحب والمودة ، يقول تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [2] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً﴾ [3]

وبالسلام يواجه المؤمن نزوات الضالين والجاهلين ، وما يدفعهم إليه طيشهم من لغو الكلام وباطله ، يقول تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ [4]

وقد منح الله عباده المرسلين سلاماً هم له أهل ، وهم به جديرون ، فقال سبحانه : ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [5] وقال تعالى فى شأن عيسى عليه السلام ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

(١) سورة النساء/٩٤ .
(٢) سورة الأنعام/٥٤ .
(٣) سورة هود/٦٩ .
(٤) سورة الفرقان/٦٣ .
(٥) سورة الصافات/١٨١ .

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[1]

الصيغة الثانية :

أَسْلَمَ ـ يُسْلِمِ ـ إسلام بزيادة الهمزة عن الصيغة الأولى وصور هذه الصيغة ، منها ما هو على صورة الفعل ، ومنها ما هو على صورة الإسم .

(ا) **والتعبير الفعلى** فى هذه الصيغة (أسلم ـ يسلم) يؤدى المعانى التالية .

١ ـ الإخلاص لله :

ومن شواهده قوله تعالى : **﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾**[2] والمعنى اتجه بعبوديته لله وحده .

وقوله تعالى : **﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾**[3]

ووصف الأنبياء بالإسلام هنا يراد به التعبير عن سُمُوّ إخلاصهم والإخلاص جوهر العقيدة ، وللأنبياء المثل الأعلى فيه ، وفى هذا من ناحية أخرى شهادة بفضل الإخلاص ، وتنويه بقدره .

وقوله تعالى : **﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾**[4] أى

---

(١) سورة مريم/٣٣ .
(٢) سورة البقرة/١١٢ .
(٣) سورة المائدة/٤٤ .
(٤) سورة غافر/٦٦ .

أخلص العبودية له .

وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [١] أى تخلصون . ومن هنا ندرك أن الإخلاص غاية كريمة يهيىء ربنا لعباده أسباب الوصول إليها .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [٢] أى لنتجه إليه وحده فى كل أمورنا ، مخلصين له عبادتنا .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [٣] .

والمراد يتجه بمظاهر العبودية من ذل ، وخوف ، وحب ، ودعاء ، ورجاء إلى الله تعالى .

ومما يشهد بقدر الاخلاص أعنى إسلام الوجه لله أن الله تعالى وصف بهذه الصفة أنبياءه ورسله كما أسلفنا ــ وأمرهم بها ، وبخاصة هذا الأمر الموجه إلى النبى الأُمةِ إبراهيم عليه السلام ؛ إذ يقول تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [٤] كما أمر بها عباده المؤمنين فقال : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [٥]

ونلحظ فى بعض الآيات أن الإسلام يقترن بالوجه ، مع أن

---

(١) سورة النحل/٨١ .
(٢) سورة الأنعام/٧١ .
(٣) سورة لقمان/٢٢ .
(٤) سورة البقرة/١٣١ .
(٥) سورة الحج/٣٤ .

مناطه القلب ، وذلك لأن الوجه تحدث به المواجهة ، وهو الصفحة التى تنعكس عليها التعبيرات النفسية للإنسان . فتحس من قسمات الوجه ما عليه صاحبه من أمن وطمأنينة ، أو خوف وقلق ، وترى عليه ملامح الرضا ، وعلامات الأسى ؛ ولهذا نهى النبى الكريم عن ضرب الوجه ، كما كانت عقوبة الكافر الذى رفض إخلاص العبادة لله أن يهان هذا الهوان عندما يودع الدنيا ، ويستقبل الأخرى . يقول تعالى : ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [1]

ونلحظ مرة أخرى أن الأمر بالاسلام فى هذه الآيات يتجه للأنبياء ، أو للعباد المؤمنين ، وهذا يساعد فى تحديد المراد بها . وهو أن يتوج إيمان هؤلاء الناس بالإخلاص التام لله ، وتوثيق الصلة به .

وملحظ ثالث هو أن الإسلام بمعنى الإخلاص قد يأتى شرطاً . جوابه الأجر أو التنويه بالفضل .

٢ ـ يأتى بمعنى الدخول فى الاسلام

ومن شواهده قوله تعالى : ﴿**وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ**﴾ [2]

ومعنى أأسلمتم ؟ أدخلتم فى الاسلام الذى هو الدين الحق ،

---

(١) سورة الأنفال/٥٠ ومن الآيات التى تحدثت عن إسلام الوجه قوله تعالى : ﴿**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ**﴾ آل عمران/٢٠ وفى المعنى نفسه قوله تعالى فى سورة الروم ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا**﴾ .

(٢) سورة آل عمران/٢٠ .

والمنهج الكامل لهداية البشر؟ فإن دخلوا فى الاسلام الحق الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام كانوا من المهتدين . وإن أبوا وأصروا على تحريفهم للإسلام الذى جاء به موسى . والذى سموه اليهودية وللإسلام الذى جاء به عيسى . والذى سموه نصرانية ؛ فهم يريدون العنت والمشاقة وسيحميك الله يا محمد من كيدهم . ولست مسئولا عن شيء سوى تبليغهم .

وقوله تعالى : **﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾**[1]

فكلمة (أسلم) هنا لا يعنى بها الإخلاص وحده . كما أشرنا فى المعنى الأول . وإنما المراد بها الرضا بمنهج الرحمن . الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام . والامتثال له . بدليل مقابلته بالقاسطين ؛ إذ الآية تشير إلى أن الجن منهم المسلم وغيره فالمعنى هنا أكثر عموماً من الأول .

٣ ـ الإذعان والانقياد :

ومن شواهده قوله تعالى : **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾**[2] فإسلام الوجود لله يعنى خضوعه له . وانقياده لحكمه . وسيره تبعاً لقوانينه الثابتة التى وضعها له .

ومنها ما قاله ربنا تبارك وتعالى فى شأن ابتلائه لنبيه إبراهيم بالأمر

---

(١) سورة الجن ١٤

(٢) سورة آل عمران ٨٣

بذبح وحيده اسماعيل ، وانصياعهما للمحنة ، وإذعانهما للأمر : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [1] أى أنقادالأمر الله واذعنا للابتلاء . فأسلم الأب فلذة كبده ، وأسلم الابن نفسه ، وبذل النفس من أعلى مراتب التضحية والفداء .

وهناك فِئات من البشر لا تكتمل فيهم عناصر الإسلام الحق . فهم يعرفونه خضوعاً وانقيادا ، لكنهم لا يعرفونه إخلاصا وثباتاً . فقال تعالى فى شأنهم : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [2] أى قولوا : انقدنا له ورضينا سمتا ومظهرا .

ومنها قوله تعالى فى شأن من تخلفوا عن النبى ﷺ حين خرج إلى مكة معتمراً بعد الرؤيا فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة ، ومنعته قريش عند الحديبية : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [3] .. فى هذه الآية أمر للنبى ﷺ بأن يبلغ من تخلفوا عن الحديبية وعوقبوا بسبب تخلفهم بأن حرموا من الخروج إلى خيبر ، وأخذ حظ من غنائمها ، وغضبوا بسبب هذا الحرمان ، ومضمون البلاغ وعته هذه الآية الكريمة ، وهو أن هؤلاء الغاضبين مدعوون للدخول فى حرب مقبلة مع قوم أشداء ، الروم أو

---

(١) سورة الصافات/١٠٣ .
(٢) سورة الحجرات/١٤ .
(٣) سورة الفتح/٢٦ .

الفرس[1] والخيار فيها بين أمرين : إما القُتال وإما خضوع الأعداء وانقيادهم لدولة الإسلام . فإذا استجاب هؤلاء الغاضبون للدعوة وجاهدوا هؤلاء الأعداء الأشداء أجزل الله مثوبتهم . وإن أعرضوا ضاعف لهم العذاب .

والشاهد استخدام لفظ (يسلمون) فى الخضوع والانقياد .

وهذه المعانى الثلاثة التى تفهم من الصيغة الفعلية لها صلة وثيقة بالاسلام الحق الذى هو علم دين الله تعالى ؛ إذ لا بد أن يتوافر فيه هذه المعانى كلها .

فلابد من الدخول فيه بحمل الشعار . وأكتساب الاسم .

ولابد من الانقياد والخضوع لأحكامه وتوجيهاته .

ولابد من اخلاص العبودية لله وحده .

فإن وقفنا عند حد المعنى الأول فهو النفاق الذى اتجه إليه الأعراب الذى تحدثت عنه آية الحجرات .

وإن وقفنا عند حد المعنى الثانى بأن حملنا شعار الإسلام . وخضعنا له . ولم نخلص فهو الشرك الذى يحبط العمل ويفسده .

---

(١) فى تفسير الكشاف . المقصود بالقوم الذين هم أولو بأس شديد بنو حنيفة قوم مسيلمة . وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه . لأن مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبى حنيفة . ومن عداهم من مشركى العجم والمجوس وأهل الكتاب تقبل منهم الجزية . وعند الشافعى لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب . ورأى أبى حنيفة أدنى للصواب وأقرب إلى روح الإسلام الذى يؤكد أنه ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾ وأما مشركو العرب فهم أمة البلاغ . والقرآن الآية والسنة دالة على الرسالة . جاء بلسانهم . فليس لهم مع الكفر حجة » (راجع تفسير القرطبى » .

وإن التزمنا بالثلاث جميعاً فهو الإسلام الحق الذى دعانا ربنا إليه .

(ب) التعبير الاسمى (إسلام ـ أو مسلم)

وهو يؤدى المعانى التالية :

١ ـ الاسلام .. علم على الدين الحق

وقد ورد بهذه الصورة ، وبهذا المعنى فى الآيات التالية يقول الله تعالى : **﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾** (١)

ويقول تعالى : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** (٢)

والآيتان معاً تؤكدان أن الله تعالى ليس له دين سوى الإسلام ، وأن أى تدين على غير منهجه مرفوض ، وفيه خسار على صاحبه .

ويقول تعالى : **﴿الْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَٰمَ ديناً﴾** (٣) وهذه الآية تشير إلى اختيار هذا الاسم علما على دين الله تعالى .

ويقول تعالى : **﴿وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعى اِلَى الْإِسْلَٰمِ﴾** (٤)

هذه الآية تبين ضخامة المسئولية التى يتحملها كل منتسب

---

(١) سورة آل عمران ١٩

(٢) سورة آل عمران ٨٥ .

(٣) سورة المائدة ٣ .

(٤) سورة الصف ٧

للإسلام . ومدى الظلم والبغى الذى يتورط فيه عندما ينحرف عن هداه بافتراء الكذب على الله واختلاق ألوان من العقائد والأخلاق . والعبادات لم يأذن بها الله .

ويقول تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [1]

كما يقول تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [2]

فى هاتين الآيتين أسلوبا شرط : أولهما يقرر أن الهداية الحقة فى أن يُشْرَح الصدر للإسلام . وأن يمتلىء القلب أمنا . وطمأنينة . وثقة . وثانيهما يعطى نتيجة أبعد . ومدى أكبر ؛ إذ يبين أن الصدر الذى شرح للإسلام يتيسر لصاحبه هداية من الله . يمنحها إياه . فيستبين بها معالم الطريق الحق فى هذه الحياة .

والآيات فى مجموعها تؤكد عظمة الإسلام . اسما . ومسمى . أو علما . ومضموناً كما تؤكد قيمته داخل الإنسان وخارجه .

٢ ـ «المسلم»

وهو الذى يحمل شعار الإسلام . ويلتزم منهجه . ويطلب من الله أن يثبته على طريقه . ويتوفاه عليه .

والذين وصفوا بهذا الوصف فى القرآن . مفرداً أو مثنى . أو مجموعا . هم من خيار الناس . وأهل الفضل . وذوى المنزلة

---

(١) سورة لأنعام ١٢٥

(٢) سورة رمر ٢٢

الرفيعة فى الدين .

ومن شواهده قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ اِلاَّ وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [1]

وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلَمِيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِيَّتِنَا اُمَةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [2]

وقوله تعالى : ﴿رَبّنَا اَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمينَ﴾ [3]

وقوله تعالى : ﴿قُلْ اِنَّ صَلاتِى وَنُسُكى وَمَحْيَاى وَمَمَاتى لله رَبِّ الْعَالَمينَ * لاَ شَريكَ لَهُ وَبذٰلِكَ اُمِرتُ وَاَنَا اَوّلُ الْمُسْلِمينَ﴾ [4]

وقوله تعالى : ﴿عَسٰى رَبُّهُ اِنْ طَلَقَكُنَّ اَنْ يُبْدِلَهُ اَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ ... الآية﴾ [5]

وآخر المطاف :

وبعد هذه الجولة فى رحاب الكتاب العزيز ، باحثين عن معنى

---

(١) القرة ١٣٢ وقد ورد عظ (مسمون) بهذا المعى فى هده المواطن : سورة لبقرة ١٣٣ ، ١٣٦ ، وآل عمران ٥٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، والمائدة ١١١ ، وهود ١٤ ، والأنبياء ١٠٨ ، والنمل ٨١ ، والعنكبوت ٤٦ ، والروم ٥٣

(٢) سورة لبقرة ١٢٨ .

(٣) سورة الأعراف ١٢٦ وورد لفظ مسلمين فى يونس ٨٤ والحجر ٢ ، والقصص ٥٣ ، والزخرف ٦٩ .

(٤) سورة الأنعام ١٦٣ وورد لفظ « مسلمين » فى يونس ٧٢ ، ٩٠ ، والنحل ٨٩ ، ١٠٢ ، والحج ٩٨ والنمل ٩١ ، والأحزاب ٣٥ ، والزمر ١٢ ، وفصلت ٣٣ ، والأحقاف ١٥ ، والذاريات ٣٦ ، والقلم ٣٥

(٥) سورة التحريم ٥

الإسلام فى صوره الانشقاقية المتباينة نستطيع أن نقول : إن هذه المادة تجمع حولها هذه المعانى الكبيرة .

منها معنى السلامة والسلام ، فالمرء فى ظلال الاسلام ينعم بهما ؛ إذ هو بعيد عن مساوى الطباع ، ومنكرات الأخلاق ، ومفاسد المجتمعات ، وآثام البغى ، وأضرار الشقاق والحروب .

فيها الخضوع لله والانقياد له ، والاستسلام لعظمته وجبروته .

وفيها إخلاص الوجه ، والقلب ، والجوارح ، وما وراءها من مظاهر العبودية لله وحده والمسلم الحق يجمع ذلك كله .

كما يتأكد بهذا القضية التى أسلفناها ، وهى :

لماذا اختار الله الإسلام : عَلَمًا لدينه الحق ؟

وبقى علينا أن ننتقل لدراسة الطرف الآخر للقضية وهو «الحق» ..

الطرف الثانى للقضية ... كلمة الحق
موقعها اللغوى ، واستعمالها القرآنى

المعانى اللغوية للفظ «الحق»

الحق خلاف الباطل . والحق من أسماء الله تعالى أو من صفاته . ويطلق على القرآن والعدل . والإسلام . والمال . نقول : أخذ حقه أى ماله . والملك . والصدق . مثل : لقد قلت الحق . والأمر المقضى . والموت . والحزم . ويطلق على الموجود الثابت . وقول العرب عن الإبل : عند حق لقاحها . ويكسر . أى حين ثبت ذلك فيها . وسقط على حاق رأسه أى وسطه .

والحاقة : النازلة الثابتة

وحق الشيء يحق وجب . وأحققت الشيء أوجبته . واستحققته : استوجبته . وتحقق عنده الخبر أى صح . وحققت قوله تحقيقاً أى صدقت . وحقّقت الأمر واحققته أى تحققته . وصرت منه على يقين .

وهو حقيق به أى جدير . ومنه قوله تعالى : ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ عَلَى ٱللهِ اَلاَّ ٱلْحَقَّ**﴾[1] . والحقيقة فى الأمر أى الحق فيه .

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية ١٠٥

والحقيقة أيضاً ، ما يحق عليك أن تحميه من مال أو عرض ، أو ولد .

والكلام المحقق أى الرصين ، والثياب المحققة أى المحكم نسجها»[1]

عندما نتدبر هذه المعانى التى ذكرتها المعاجم اللغوية للفظ الحق نجد أنها برغم اختلافها وتباينها متقاربة ومتآخية ، كما نستطيع أن نستخلص منها أموراً تُعَدُّ خصائص للفظ الحق بمعناه اللغوى .

فالحق يعنى الثبات والاستقرار فلا يتطرق إليه شك أو ارتياب .

والحق يعنى الصدق لمطابقته للواقع . وبتلاقيه مع العقل الصحيح .

والحق يعنى الواجب الذى لا يصح التخلى عنه .

والحق يعنى أن له الغلبة والانتصار .

والحق يعنى الأمر الوسط ، فلا غلو فيه ولا تطرف .

والحق يعنى لزوم حمايته والدفاع عنه .

مقاييس الحق

الحق واحد من مبادىء ثلاثة تعشقها البشر منذ وجدوا ، وسعى إليها الإنسان منذ خلقه الله سعياً حثيثاً ، ومن أجلها ضرب فى بيداء الفكر ، وأوغل فى متاهات الفلسفة علّه يصل إليها ، أو يعيش فى ظلالها .

هذه المبادىء التى استهوت الإنسان منذ قديم هى : الحق

---

(١) راجع الصحاح للجوهرى ، والقاموس المحيط للفيروزبادى (مادة حق) .

والخير . والجمال .

ويحث الانسان عنها فى إطار فكره البشرى . ومن دائرة الحس الإنسانى ، بعيداً عن هداية الدين الحق الذى اختاره الله للبشرية ، أو فى ظلال دين ابتدعه من هواه ؛ لذا رأينا الإنسانية فى تاريخها الطويل ، وعلى كثرة بحثها . لم تصل للإدراك الصحيح لهذه القيم . ولم تنعم بظلها . بل لم تستطع الاتفاق على مقاييس ثابتة لها .

ومن هنا لا نجد فى دائرة الفلسفة الانسانية مقاييس محددة أو ثابتة للحق ، ومن هنا تراه متعدداً ، وذا وجوه .

فالذى يراه جماعة من الناس حقا يراه آخرون باطلاً ، وذلك لأن الحق يتطلب درجة عالية من التجرد التام من الأهواء ، والنوازع الإنسانية ، ونتيجة لهذا نستطيع أن نقول : إن الحق بثباته ، ورسوخه لا يمكن أن نأخذه من الفكر البشرى وحده[1] ، أى بعيداً عن هداية الدين الحق .. الإسلام .

والمقاييس البشرية للحق مرفوضة تماماً ، إنما هى تدنو من الحق ، أو تبعد عنه بقدر تمسك الإنسان بأهوائه ، أو تجرده منها .

كلمة الحق فى القرآن

فإذا أردنا الحق معنى ثابتاً ، لا تختلف عليه ، وإذا أردنا التعرف على حقائق الوجود لا بد لنا من تتبع كلمة الحق فى

(١) مثال ذلك تصور بنى إسرائيل فى مكابرتهم ولجاجتهم وكثرة تساؤلهم أن ذلك هو الحق . فعندما ضيقوا على أنفسهم فى السؤال عن البقرة التى طلب منهم ذبحها . ووصل الأمر إلى قمة التضييق قالوا لموسى كما أخبرنا القرآن الكريم : ﴿**قالوا : الآن جئت بالحق**﴾ .

القرآن الكريم وعلى ضوء هذا نستطيع أن نتبين مقاييسه ، وأن نستوضح معالمه .

وليس هذا منهجاً عاطفياً ، أضعه تحت دافع العقيدة الإسلامية . والإيمان الصحيح بالله ، واليقين الكامل بكتابه . والتماس القدوة من سنة نبيه الكريم . ولكنه يستند مع ذلك إلى قواعد عقلية تكاد تكون بهية ، أو ضرورية . هى أن الله تعالى ، رب هذا الوجود . الذى اتفق على ربوبيته جميع البشر ، وإن اختلفوا فى صفاته . واضطربوا فى ألوهيته ، هو الحق ، وهو مصدر الحق ، ولن نجد للحق مصدراً غيره .

يقول سبحانه : **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾** (١)

بهذه العبارة الحاصرة يؤكد القرآن الكريم أن الله وحده هو الحق ، وكل تأليه ، أو عبودية لغيره باطل وضلال .

وكتاب الله الذى سنقيم دراستنا للحق فى رحابه حق ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ يقول تبارك وتعالى : **﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾** (٢) ويقول تعالى : **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** (٣)

هذه قضية سنتناولها بعون الله وحده بمزيد من البحث . وعلينا

---

(١) سورة الحج/٦٢ .

(٢) سورة الإسراء/١٠٥ .

(٣) سورة فصلت/٤٢ .

الآن أن نقوم بسياحة فى رحاب الكتاب العزيز ؛ لنتبين مواقع الحق فيه ، وما قدمه للبشرية من حقائق خالدة .

مادة «الحق» فى القرآن :

وردت مادة «الحق» فى القرآن على الصور اللفظية الآتية :

حَقَّ ـ حَقَّتْ ـ حُقَّتْ ـ يحق ـ استحق ـ استحقا ـ حَقٌّ ـ الحق ـ حقًّا ـ حَقَّهُ ـ أَحُقُّ ـ حقيق ـ الحاقة .

وقد استخدمت هذه الصور اللفظية ، والاشتقاقية لمادة الحق فى سبعة وثمانين ومائتى موضع من كتاب رب العالمين .

فى صورة الفعل :

تكون بمعنى الوجود ، أو الثبات والإثبات ، أو الإظهار مثل قوله تعالى : ﴿**فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ**﴾ [1] أى وجبت ، واستحقوها بسوء فعلهم وقوله تعالى : ﴿**كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوا**﴾ [2] بمعنى وجب عليهم العذاب .

وقوله تعالى : ﴿**وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ**﴾ [3]

وقوله تعالى : ﴿**وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ**﴾ [4] مأخوذة من حَقَّ

---

(١) سورة الأعراف/٣٠ ؛ والإسراء/١٦ . والحج/١٨ . والقصص/٦٣ . وجاءت كذلك فى السجدة/١٣ . ويس/٧ . والصافات/٣١ ، وص/١٤ ؛ والزمر/١٩ . وفصلت/١٥ . والأحقاف/١٨ . وق/١٤ . وهى فى هذه المواضع كلها من «حق» بمعنى ثبت ووجب .

(٢) وردت الآية فى سورة يونس/٣٣ . ولفظ «حقَّت» جاء فى موضع آخر من سورة يونس . وفى النحل ، والزمر . وغافر .

(٣) سورة يس/٧٠ .

(٤) سورة الانشقاق/٢ .

الأمر يحقه (**بضم الحاء والقاف المشددة**) أثبته . وتقول : حَقَّ الأمر (بفتح الحاء) أى ثبت له .

ومعنى الآية : وكان حقا ثابتا أن تنقاد الأرض والسماء لأمر الله تعالى يوم القيامة .

وقوله تعالى : **﴿وَيُرِيدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾**(١) مأخوذ من أحق الأمر بمعنى أظهره وأيده .

وفى صورة المصدر :

وإذا اتخذت هذه المادة صورة المصدر ، مجرداً من ال ، مثل «حقا» كانت أيضاً بمعنى الثبات والوجوب .

مثال ذلك قوله تعالى : **﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**(٢) وأما قوله تعالى : **﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾**(٣) فمعناها ادفعوا ما وجب على الزروع والثمار من زكاة ؛ إذ هى حقها الواجب عليها ، والثابت لها .

وتفيد المعنى نفسه إذا جاءت على وزن «فَعِيل» كقوله تعالى : **﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللهِ إلاَّ الْحَقَّ﴾**(٤) أى واجب علَىَّ .

وكذلك إذا جاء على صورة التفضيل (أحق) مثل قوله تعالى :

---

(١) وردت الآية فى سورة الأنفال/٧ . ولفظ (يحق) بضم الياء ورد فى موضع آخر من سورة الأنفال وكذا فى يونس والشورى .

(٢) سورة البقرة/١٨٠ . وورد اللفظ فى السور الآتية : يونس والروم . والنساء والتوبة والنحل والكهف ولقمان .

(٣) سورة الأنعام/١٤١ .

(٤) سورة الأعراف/١٠٥ .

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً﴾[1] أى أن الأزواج هم أصحاب هذا الحق الذى وجب لهم وحدهم .

وإذا جاءت على صورة إسم الفاعل (الحاقة) أفادت معنى الثبات والوجوب كذلك . مثل قوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[2] والمراد بها يوم القيامة ؛ لأنه ثابت ، وواجب ، وآتٍ لا ريب منه .

لفظ (الحق) فى القرآن :

لفظ الحق كثير الورود فى الكتاب الكريم ، والمراد منه على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذى وردت فيه الآيات . ومعناه العام لا يخلو من معنى الثبوت ، والمطابقة للواقع[3]

وقد استخدم لفظ الحق فى معان كثيرة ، نذكرها فيما يلى ، وسنرى أنها تتناول حقائق الوجود . وأركان الاعتقاد ، وأصول القيم . وهى كلها داخلة فى إطار الإسلام عقيدة وشريعة . مما يحقق الالتقاء القويم بين طرفى القضية ، كما ذكرنا وهذه المعانى هى :

١ ـ الحق هو الله ، لأن وجوده ثابت وواجب ، فهو الأول والآخر .

٢ ـ الحق هو الكتاب المنزل . صافيا نقيا بما فيه من حقائق العقيدة والشريعة .

---

(١) سورة البقرة/٢٢٨ .

(٢) سورة الحاقة/١ .

(٣) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٣ ـ الحق هو يوم القيامة . وما يسبقه من موت . وما يقع فيه من مشاهد مختلفة .

٤ ـ الحق كل أمر واقع لا يتخلف .

٥ ـ الحق ما وجب على الغير.

٦ ـ الحق هو العلم الصحيح .

٧ ـ الحق هو العدل .

٨ ـ الحق هو الصدق .

٩ ـ الحق هو الحكمة .

١٠ ـ الحق هو التمام والاكتمال .

١ ـ الله هو الحق :

هذه هى القضية الأولى من قضايا «الحق» فى القرآن .

وهى الحقيقة الأولى فى الوجود ، وهى أثبت الحقائق ، وأعلاها شأناً ، بل هى حقيقة الحقيقة ، ومنها وحدها ينبعث كل حق . وحقيقة هذه الحقيقة هى الله ، رب الوجود ، وخالق كل موجود .

أذكر فى هذا الصدد كلمات نثرية لأمير الشعراء أحمد شوقى تحت عنوان «الحقيقة الواحدة» يقول فيها : «يا منابع الملاحدة ، ومشايع العصبة الجاحدة ، ومنكر الحقيقة الواحدة . ما للأعمى والمرآة ؟! وما للمقعد والمرقاة ؟! ومالك والبحث عن الله ؟!» [١]

لقد سمى نفسه بالحق ، ووصف نفسه بأنه حق؛ لأن وجوده

---

(١) أسواق الذهب ـ أحمد شوقى ـ المقالة الأولى .

حق وحكمه حق ، وشريعته حق ، وكتبه حق ، ورسله حق .

يقول تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[1] أى الثابت الذى لا يتغير ، ولا ينبغى أن يرتاب أحد فى وجوده .

ويقول تعالى : ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾[2] أى لا يتبعون دين الله الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ، أو يكون من إضافة الموصوف إلى الصفة أى لا يتبعون الدين الحق .

ووصف الله تعالى نفسه بالحق فقال : ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾[3]

وقال : ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾[4] بكسر القاف ، صفة لله تعالى والمقصود بالوصف بالحق فى الآيتين أن الله تبارك وتعالى ثابت الوجود لا يتغير ، وقرئت الآية الثانية[5] برفع الحق ، فيكون صفة للولاية ، ويكون المعنى : الولاية الصحيحة الثابتة هى لله دون سواه :

ويقول سبحانه : ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[6] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ

---

(١) سورة الأنعام/٦٢ وسورة يونس/٣٠ .
(٢) سورة التوبة/٢٩ ، ٣٣ .
(٣) سورة يونس/٣٢ .
(٤) سورة الكهف/٤٤ .
(٥) قرأها أبو عمرو والكسائى برفع القاف ، والباقون بالكسر ، راجع النشر جـ ٢ ص ٣١١ .
(٦) سورة طه/١١٤ .

ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [1] ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [2]

والوصف بالحق فى هذه الآيات لا يكاد يتجاوز المقصود منه فى الآيات السابقة ، غير أن هناك منها ما يحمل معنى الحصر عندما نرى ضمير الفصل يفصل بين لفظ الجلالة ، وصفة الحق ، فيكون المعنى أن الثبات والدوام ، واستحالة التغير والتحول مقصور على الله تعالى ، فهو وحده الحق فى هذا الوجود .

وعندما نلقى نظرة على بعض الآيات التى وقع فيها لفظ «الحق» اسماً لله تعالى أو صفة له نجد أنه يعنى أموراً تكشف عن جوانب الكمال الإلهى .

- يعنى الوجود الحقيقى الذى لم يسبقه عدم ، ولن يعقبه فناء .
- يعنى العدالة المطلقة عندما يُرَد الناس إليه .
- يعنى أنه الملاذ ، والمعاذ ، وبالتالى فاللجوء إلى غيره باطل وضلال ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [3]
- ووصفه بالحق يعنى أنه واحد لا شريك له ؛ إذ أن التعدد باطل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [4] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [5]

---

(1) سورة الحج/٦ - ٦٢ . ولقمان/٣٠ . والمؤمنون/١١٦ .
(2) سورة النور/٢٥ .
(3) سورة يونس/٣٢ .
(4) سورة الأنبياء/٢٢ . (5) سورة المؤمنون/٩١ .

٢ ـ كتاب الله حقٌّ :

عندما نقول «كتاب الله» نعني ما أنزله على رسله من كتاب عن طريق الوحي الذي اتخذ صوراً مختلفة عند تبليغ أوامر الله، وأحكامه، وشرائعه، ومواعظه، وتحذيراته لأنبيائه. جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ**﴾[1]

وهذه الكتب تشمل صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى والفرقان الآية الكبرى التي جاء بها محمد ﷺ.

وقد تحدث القرآن الكريم في مواطن مختلفة عن الكتب التي أنزلها الله على رسله داعياً إلى الإيمان، واصفاً إياها بما هي أهل له ساعة أنزلت، وقبل أن يعبث بها الإنسان بهواه.

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**﴾[2] ثم يقول: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرٰيةِ وَآتَيْنَاهُ ٱلْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ**﴾[3]

كما علَّم المسلمين إذا جادلوا أهل الكتاب ألا يسارعوا إلى تكذيب ما يقولونه، من أحكام، أو تشريعات ينسبونها للتوراة أو الإنجيل. فيقول تعالى: ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ**

---

(١) سورة الشورى/٥١.
(٢) سورة المائدة/٤٤.
(٣) سورة المائدة/٤٦.

إِلَيكُمْ﴾[1]

وقال تعالى : **﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾**[2]

وقد نصح النبى ﷺ صحابته بمثل هذا النصح ، فقال : «**لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بمآ أنزل إلينا ، وأنزل إليكم**»[3]

فهذه العبارة التى وردت فى الآية وفى الحديث فيها حفاظ على ما ينبغى أن تكون عليه عقيدة المؤمن من إيمان بهذه الكتب ، كما أن فيها احتياطا حكيماً حتى لا يورط المؤمن نفسه فى الإيمان بمازيفه القوم ، وأدخلوه على كتاب الله .

موقف القرآن الكريم من الكتب السابقة :

وأما موقف القرآن الكريم من الكتب السابقة فقد بينته هذه الآية **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾**[4]

فللقرآن الكريم إذن مهمتان :

الأولى : تأييد ما سبقه من كتاب سماوى .

والأخرى : الهيمنة عليها بمعنى أنه ينسخ ما يشاء الله نسخه من أحكامها ، كما أنه يكشف ما عسى أن يكون قد أدخل عليها بفعل

---

(١) سورة العنكبوت/٤٦ .
(٢) سورة الشورى/١٥ .
(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده .
(٤) سورة المائدة/٤٨ .

الأهواء الغالبة .

ولأجل هذا أعطى القرآن الكريم حصانة من التزيد ، وعصمة من تسلط أهواء ذوى الأهواء عليه ؛ ولذا لم يجدوا سبيلا إلى الطعن فيه ، لا من منهج نزوله ، ولا فى طريق ثبوته ، ولا فى نظمه وصياغته ، ولا فى مضمونه ، ومؤداه .

وهذا أمر بين لنا رب العالمين أنه تكفل به ؛ إذ قال : **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [1] فاختص القرآن الكريم بهذا الحفظ الإلهى دون غيره .

وبهذه الميزة كان للقرآن الكريم حق الهيمنة ؛ لأنه وعاء شريعة الله ، ودستور دينه الذى ارتضاه حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

القرآن حق :

ومن هنا تفرد القرآن الكريم ـ بخاصة ـ بصفة الحق ، دون غيره .

يقول الله تعالى فى شأن بنى إسرائيل الذين دفعهم تعصبهم إلى أن يؤمنوا بما أنزل الله ، **﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾** [2]

ويقول تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام : **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾** [3] أى أرسلناك بالقرآن الكريم ، وهو حق

---

(١) سورة الحجر/٩ .
(٢) سورة البقرة/٩١ .
(٣) سورة البقرة ١١٩ .

ثابت لا ريب فيه .

ويقول تعالى ﴿**تِلْكَ آيَاتُ ٱللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِ**﴾[1]

والمعنى نتلو عليك آيات القرآن بصورة بعيدة عن الشك ، والريبة . معززة بالصدق . مؤيدة بالواقع . داعية إلى الحكمة .

والحق علم على القرآن الكريم ينسحب على كل ما جاء فيه من خبر . أو تشريع . أو علم فيقول تعالى : ﴿**يَآءَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِالْحَقِ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[2]

وهذه آية أخرى تبصر العرب بالكتاب الذى أنزل على محمد عيه الصلاة والسلام ليستمسكوا به ، فيهتدوا . ويسعدوا . يقول تعالى : ﴿**قُلْ يَآءَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾[3]

وثمت آيات تعطى القرآن الكريم اسم الحق ، وتدعو النبى عليه الصلاة والسلام إلى التثبت والتحرى . ليتأكد له أن ما أنزل عليه هو الحق . كما تحذره من الارتياب ، لأنه لا مجال فيه لمرتاب .

قال تعالى : ﴿**ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾[4]

وقال سبحانه : ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍ مِمَّآ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَؤُنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُ مِنْ رَبِّكَ**

---

(١) سورة البقرة/٢٥٢ . وآل عمران/١٠٨ . والجاثية/٦ .

(٢) سورة النساء/١٧٠ .

(٣) سورة يونس ١٠٨ .

(٤) سورة البقرة.٢ .

فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [1]

ويقول : **﴿فَلا تَكُ فى مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾** [2]

ويقول تعالى : **﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾** [3]

والقصة القرآنية حق :

للقصة القرآنية مجال واسع فى الكتاب الكريم ، وقد عززت أحداثها ووقائعها بصفة الحق فى كل ما يتصل بها من عناصر حتى لا يترسب الوهم إلى بعض العقول المريضة أن القصة فى القرآن ليس لها واقع ، وأنها نسجت للموعظة والعبرة فيقول تعالى : **﴿إِنَّ هذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾** [4] ويقول سبحانه : **﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فى هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [5]

وقال تعالى : **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِ﴾** [6]

كما قال : **﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَق﴾** [7]

والعلم وسيلة هادية ، تتيح للعلماء اليقين بالكتاب الحق ،

---

(١) سورة يونس/٩٤ .
(٢) سورة هود/١٧ .
(٣) سورة فاطر/٣١ . والصافات/٣٧ بدون **﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾** .
(٤) سورة آل عمران/٦٢ .
(٥) سورة هود/١٢٠ .
(٦) سورة الكهف/١٣ .
(٧) سورة القصص/٣ .

وإدراك حقائقه . يقول تعالى : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)

وهذه آية كريمة تجعل عصمة الأنبياء من أهواء النفوس . ونزعات الشياطين دليلاً يعرف منه أولو العلم أن القرآن حق . فتذعن له قلوبهم . وتطمئن إلى أنه تنزيل العزيز الحميد . فيقول تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢)

ارتباط القرآن بالحق فى قضية نزوله :

تثار الشكوك الضالة من أعداء القرآن الكريم حول قضية الوحى . ملقين بالظنون الكاذبة ، والأوهام الفاسدة حول نزوله . ولأجل هذا جاءت الآيات مؤكدة نزول القرآن من عند الله . وأن كيفية النزول حق لا ريبة فيه . وأن القرآن نزل بالحق واعياً قضايا الحياة والناس .

يقول تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (٣)

ويقول سبحانه : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٤)

---

(١) سورة سبأ/٦ .

(٢) سورة الحج/٥٤ .

(٣) سورة البقرة/١٧٦

(٤) سورة آل عمران/٣ .

والمعنى نزل عليك الكتاب مشتملاً على الصحيح الثابت من الأحكام والأخبار ، مصدقاً لما سبقه من كتب السماء .

ويقول تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (١)

وتفيد هذه الآية ما تفيده كل آية تربط النزول بالحق لمعنى دفع الارتياب فى عملية النزول ، وتأكيد استيعاب القرآن لكل ثابت وصحيح من الأخبار والتشريعات .

ومثلها قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (٢)

ونزول القرآن الكريم بالحق على المعنيين السابقين ، أعنى هيئة النزول ، واستيعاب الحقائق ، قضية لها أهمية بالغة ، ومن أجل ذلك تكاثرت الآيات التى تناولتها ، وتحدثت عنها ، مؤكدة إياها .

يقول تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (٣)

ويقول سبحانه : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٤) .

ويقول تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (٥)

ويقول سبحانه يأمر نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يبلغ

---

(١) سورة المائدة/٤٨ .

(٢) سورة النساء/١٠٥ .

(٣) سورة الرعد/٢ .

(٤) سورة الزمر/٢ .

(٥) سورة الشورى/١٧ .

قومه قضية نزول القرآن الكريم بالحق . فيقول : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [1]

والإشارة إلى روح القدس هنا تعطى لمحة سريعة للأسلوب الذى نزل به القرآن الكريم . وأن حامله روح القدس جبريل عليه السلام .

حتى أهل الكتاب مع انحراف الجمهرة الكبيرة منهم عن النهج القويم . وإصرارهم على الكفر بالرسالة الخاتمة يعرفون أن القرآن حق . فيقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [2] لكن انتهى أمرهم إلى ما حدثنا به ربنا تبارك وتعالى عنهم ؟ إذ قال : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [3]

لكن من أهل الكتاب من عرفوا . وتأثروا . واخترقت الموعظة القرآنية كل الحجب دون قلوبهم فاستجابوا . وفاضت دموعهم بعد أن تكشفت الحقائق الثابتة والمواعظ الهادية فآمنوا وتابوا . يقول تبارك وتعالى فى وصفهم : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ [4]

وهذه آية تشير بوضوح إلى المعنيين اللذين يفهمان من النزول

---

(1) سورة النحل/١٠٢ .
(2) سورة الأنعام/١١٤ .
(3) سورة البقرة ٨٩ .
(4) سورة المائدة ٨٣ .

بالحق واللذين سبقت الإشارة إليهما .

يقول تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[1]

فنرى هنا التنويع بين (أنزل) و (نزل) فى آية واحدة ، وفيه حكمة ذات بال ؛ لأن معنى الحق من «نزوله» أن هناك حكمة عظيمة وراءه ، وأن يد العبث لم تصل إليه . وهذا أمر بسطت جوانبه آيتان من الكتاب العزيز أولاهما : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[2]

وفى هذا ضمان واضح لسلامة النزول بدرأ الشبهات .

والأخرى : قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3]

وفى هذه الآية تأكيد آخر أقوى وأشد كما إن فيه إشارة إلى خصيصة قرآنية ، تميز بها فى نزوله ، وهى أن الروح الأمين حمله ، ليلقيه مباشرة فى عقل النبى ، مسجلاً فى ذاكرته ، فلا توجد ثمت فرصة للسهو والنسيان ، أو تدخل عنصر غير أمين فى عملية النزول[4] .

وأما الحق فى (إنزاله) فهو أنه يحمل للناس الشرائع الهادية ، والمواعظ البليغة ، والحكم السديدة ، والأخبار الصادقة .

---

(١) سورة الإسراء/١٠٥ .

(٢) سورة الواقعة/٧٧ ـ ٧٩ .

(٣) سورة سورة الشعراء/١٩٣ ، ١٩٤ .

(٤) راجع كتابنا فى علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق ص ٦ .

وأما «نَزَّل» بتشديد الزاى فحيثما تأت تعط إشارة إلى تعدد عملية نزول الكتاب حسب الأحداث والوقائع . ومقتضيات الأحوال .

القرآن الحق ... فى مواجهة المعاندين :

كذب المشركون بالقرآن . وواجهوا بالجحود الأحمق حقائقه التى لا تنكر ، وكان الرد عليهم من مواجهة تكذيبهم يحمل التأكيد بأنه حق . فقال تعالى : **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾**[1] كما قال سبحانه : **﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾**[2] كما قال : **﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**[3] ومن هذه الآية نرى كلمة الحق واقعة على الرسالة بعامة . ولا شك أن واجهة الرسالة كانت آيات الكتاب العزيز حيث قابلها القوم بالاعراض والنفور . والاتهام .

وقد يستعين الكافر بالجدل والمراء فى رد حقائق الكتاب ، ساخراً من الآيات والنذر . فيقول تعالى : **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾**[4]

---

(١) سورة الأنعام/٦٦ .

(٢) سورة السجدة/٣ .

(٣) سورة الأنعام/٥ .

(٤) سورة الكهف/٥٦ .

لقد كان شعور الكراهية يملأ نفوس المشركين نحو ما جاء فى الكتاب الكريم من بينات ونذر ، وما سطر فيه من حقائق ناصعة فاندفعوا يفترون : **﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾**[1]

واشتطوا فى العداء للكتاب الكريم إلى درجة الحمق ، وفقدان الاتزان ، وذهاب الحلم ، شأن العاجز الذى انقطعت به الحيلة ، فلم يجد وسيلة لرد ما يكرهه ، فنرى رجلاً من قريش هو النضر بن الحارث ، يقول هو وأمثاله كما حدثنا القرآن **﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَآءِ أَوِائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[2]

وقد ذكرهم القرآن الكريم بهذه المقالة بعد هزيمتهم الساحقة فى بدر ، ثم قال سبحانه : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**[3] إذ أن حكمة الله اقتضت أن المكذبين بالرسالة الخاتمة لن يعجل لهم عذابهم على هذا التكذيب . ولهم موعد عند الله لن يجدوا من دونه موئلا .

وفى مواجهة الادعاء بأن القرآن سحر يأتى الرد على هؤلاء المغترين بأنه حق ، فيقول سبحانه : **﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن**

---

(١) سورة المؤمنون/٧٠ . وشعور المعاندين بالكراهية نحو الكتاب جاء فى سورة الزخرف/٧٨ **﴿لقد جئناكم بالحق . ولكن أكثركم للحق كارهون﴾** وراجع تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٥٠ .

(٢) سورة الأنفال/٣٢ .

(٣) سورة الأنفال ٣٣ .

قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾[1]

إن هذه الآية تكشف عما يلجأ إليه القوم من علل واهية . تسوغ لهم ردّ الكتاب . وذلك بقولهم : هلا جاء بكتاب مثل كتاب موسى ! ! ولو كان الكتابان متماثلين لقالوا : كتابان فى السحر . يؤيد أحدهما الآخر . ولذا جاء الرد القاطع عليهم فى الآية التالية : ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]

وهذا الأمر الوارد فى هذه الآية أخزى القوم . وأبلسهم . ووضع حدا لتعللاتهم الساذجة . واعذارهم الواهية .

إن المكذب للكتاب الحق يقف على درجة سواء مع المفترى على الله الكذب عليه . يقول تعالى : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ**﴾[3] ويقول تعالى : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[4] وفى آية أخرى ﴿**لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[5]

وإذا كان أعداء الرسالة المحمدية يواجهونها بحجج زائفة . وأدلة متهافتة . فإن القرآن الكريم يبطل هذا كله بالحقائق الناصعة .

---

(1) سورة القصص/وفى مواضع أخرى من القرآن جاءت الإشارة إلى قول الكافرين عن القرآن : إنه سحر . فى سورة سبأ/٤٣ ﴿**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين**﴾ وفى سورة الأحقاف/٧ ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين**﴾ وكذا سورة الزخرف/٣٠ .

(2) سورة القصص/٤٩ .

(3) سورة العنكبوت/٦٨ .

(4) سورة الأنعام ٢١ .

(5) سورة يونس ١٧ .

إذ يقول تعالى : ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[1]

٣ ـ القيامة حق :

فى إطار المعنى اللغوى لكلمة «الحق» رأيناها شملت الأمور الثابتة ، والحقائق الواقعة التى لا تتخلف ، ولا تتحول عن سمتها ، ولا تتغير.

وفى البيان القرآنى رأينا آيات كثيرة تؤكد أن الله حق . كما تناولنا آيات أخرى تقرر أن القرآن حق .

ونحن الآن أمام حقيقة ثالثة أكدها الكتاب العزيز : القيامة حق . القيامة بكل ما فيها من مشاهد ، وما يسبقها من أحداث ، وما يدور فيها من وقائع ، وما يقع فى يومها العظيم من بعث وحشر ، وصراط ، وحساب وميزان ، وثواب وعقاب .

ويوم القيامة لا يقاس بمقاييس الزمن التى ألفناها ، أو نحسبه بحساب أيامنا المحدودة ، والتى تنشأ من دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس ، ثم نقسمها إلى الساعات الأربع والعشرين ، ولكن يوم القيامة شىء عظيم ، لا يقاس بأيام الدنيا ، وحسبنا فى هذا ما ألمح إليه القرآن الكريم فى أكثر من موضع ؛ إذ يقول تعالى : ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]

ويقول سبحانه : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ

(١) سورة الفرقان/٣٣ .
(٢) سورة الحج/٤٧ .

مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً . وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (١)

فالموت ـ وهو من الأحداث التى تسبق القيامة ـ حق ، وقانون ثابت ، لا يفلت منه بشر ، ولو كان نبيا أو رسولا ؛ إذ يقول تعالى : **﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** (٢)

وجاءت هذه الآية تعبر عن قانون الموت بهذا الأسلوب المؤكد لحقيقته . الذى يذكر الغافلين عنه حتى يفيقوا ، فيقول تعالى : **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾** (٣)

ويوم القيامة حق . يعرفه المؤمنون الصادقون . وأما غيرهم فيرتابون فيه . ويتهكمون منه عندما يسألون رسول الله ﷺ . ساخرين ، مستعجلين وقوعه ، فيقول تعالى لنبيه : **﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ . يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾** (٤)

ويتحدث القرآن الكريم عن يوم القيامة مدعوما بصفة الحق ، ويتساءل منكروه فى دهشة ، وذلك بعد أن خُوِّفوا من عذابه ، ويأتيهم الجواب القاطع ، يحمل الوعيد الحاسم ، الذى يهز كيان

---

(١) سورة المعارج ٤ ــ ٧ .
(٢) سورة الأنبياء/٣٣ ، ٣٤ .
(٣) سورة ق/١٩ .
(٤) سورة الشورى/١٨ ، ١٩ .

البغى فى نفوسهم . يقول تعالى : ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[1] .

ويقول تعالى : ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾[2]

ومن حقائق هذا اليوم

هذه الصيحة التى يسمعها الموتى . فيخرجون من الأجداث سراعا ، يحشرون إلى ربهم بعد الخروج من قبورهم . فيقول تعالى : ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾[3]

ومن حقائقه أيضاً .

العدالة المطلقة .

فلا شفاعة فيه لظالم ، ولا مكان فيه لمفرط ، «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[4]

تنتفى فيه تماماً قضية الأحساب ، ويختفى أصحاب الشفاعات والوساطات : ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[5]

يقول تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) سورة يونس/٥٢ . ٥٣ .
(٢) سورة الأنبياء/٩٧ .
(٣) سورة ق/٤٣ . ٤٤ .
(٤) جزء من حديث شريف رواه مسلم عن أبى هريرة .
(٥) سورة الأنعام/٢٤ . ٩٤ . والأعراف/٥٣ . ويونس/٣٠ .

ولا يتساءلون﴾ [1] كما قال سبحانه : ﴿**يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**﴾ [2] كما قال : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون**﴾ [3]

ويقول جل شأنه ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ [4]

لقد تقدم نوح عليه السلام ـ وهو الذى حمل عبء الدعوة إلى الله ألف سنة إلاّ خمسين عاما بما يفهم منه رجاء الشفاعة لابنه الآثم ، إذ قال : ﴿**رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين**﴾ فقال له رب العزة وهو الملك الحق : ﴿**يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ [5]

وجاء فى صحيح البخارى مقالة النبى ﷺ لقريش بعامة ، وذوى قرابته بخاصة قال : «يامعشر قريش ـ اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا عباس عم محمد اشتر نفسك من الله لا أغنى عنك من الله شيئا . يا صفية عمة محمد أعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا . يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى واعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا»

(١) سورة المؤمنون/١٠١ .
(٢) سورة الانفطار ـ آخر الآية .
(٣) سورة البقرة/٢٥٤ .
(٤) سورة المدثر/٤٨
(٥) سورة هود ٤٥ ـ ٤٦ .

إنه يوم الحق ، فلا مكان فيه لغير الحق :

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا . ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ (١)

والشفاعة المقبولة فى هذا اليوم شفاعة تستند إلى الحق ، فهى بإذن الله ، ولمن يرضى عنه الله ، إعلاء لشأنه . ورفعاً لذكره على رءوس الاشهاد ، على نحو ما أشارت الآية ﴿**إلاَّ من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾ . فلا يطلب الشافع باطلا . ولا يجادل عن مقصر ، أو مفرط .

يقول تعالى : ﴿**وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (٢) ويقول : ﴿**وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ**﴾ (٣)

وفى شأن شفاعة الملائكة يقول سبحانه : ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ**﴾ (٤) كما قال : ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ**

---

(١) سورة النبأ/٣٨ ، **٣٩** وورد لهذا المعنى من اشتراط الإذن فى الشفاعة فى قوله تعالى : ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ البقرة/**٢٥٥** كما جاء الشرطان فى قوله تعالى : ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا . يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا**﴾ طه/١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) سورة الزخرف/٧٦ .

(٣) سورة سبأ/٢٣ .

(٤) سورة النجم/٢٦ .

خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[1]

وهذا لا يتنافى مع ما منحه الله لنبيه ﷺ من المقام المحمود يوم القيامة ؛ إذ يشفع للبشرية جميعا ، فيصرفون من موقف الحشر إلى موقف الحساب ؛ إذ أنه موقف لا يخرج عن دائرة الحق ، الذى هو دستور هذا اليوم العظيم[2] .

والجزاء فى ذلك اليوم .. حق :

فبعد حديث رب العالمين عن المقربين ، وعن أصحاب اليمين ، وما أعد للطائفتين من مثوبة وتكريم يحدثنا عن المكذبين الضالين ، وما أعدلهم من عذاب الجحيم يأتى التعقيب على هذا كله بأن هذا الجزاء حق متيقن ، أو يقين محقق ، فيقول تعالى : **﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**[3]

كما يقول تعالى مشيراً إلى ما ذكره من نعيم المؤمنين أهل اليمين ، وعقاب الكافرين أهل الشمال : **﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ . وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ . وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بَاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**[4]

ويرى الكافرون العذاب الذى ارتابوا فيه ، واستعجلوه

---

(1) سورة الأنبياء/٢٨ .

(2) فسر المفسرون المقام المحمود فى قوله تعالى : **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾** بهذه الشفاعة ، وهى التى جاءت فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد بلى ... الحديث .

(3) سورة الواقعة/٩٥ ، ٩٦ .

(4) سورة الحاقة/من ٢٨ ـ ٥٢ .

ساخرين ، يرونه رأى العين ، ويوجه إليهم سؤال يحملهم على الاعتراف بما كذبوا به ، ولا يملكون سوى الإقرار بالحق الواضح ؛ إذ من حقائق هذا اليوم زوال الغشاوة عن البصائر ، واستبانة الحقائق وفى هذا إيلام شديد وحسرة بالغة لمن كفروا واعرضوا ، ندرك هذا من أقوالهم التى يذكر بها القرآن قبل وقوعها **﴿رَبَّنَآ اَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً اِنَّا مُوقِنُونَ﴾**[1] **﴿لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اَلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**[2]

ومن هنا يسألون .. فماذا يقول هؤلاء التعساء ؟ القرآن الكريم يصف المشهد : **﴿وَلَوْ تَرٰى اِذْ وُقِفُوا عَلٰى رَبِّهِمْ قَالَ اَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلٰى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**[3]

ويقول تعالى : **﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ اَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلٰى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**[4]

فمن خلال هذا الحوار القرآنى الذى يصف أحد مشاهد القيامة تتكشف حقيقة غفل عنها القوم فى الدنيا ، حيث كانوا كما وصفهم الله **﴿اَلَّذِينَ كَانَتْ اَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَنْ ذِكْرِى وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾**[5] ثم أبصروا يوم القيامة وسمعوا فرأوا عذابا ما لهم منه محيص .

وهكذا فى مجال حديث القرآن الكريم عن الحق تتضح حقيقة

---

(١) سورة السجدة/١٢ .
(٢) سورة ق/٢٢ .
(٣) سورة الأنعام/٣٠ .
(٤) سورة الأحقاف/٣٤ .
(٥) سورة الكهف/١٠١ .

يوم البعث ومشاهده بكل ما فيها من روعة وإثارة ، وتحذير وتبشير ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة .

٤ ـ الحق أمر واقع :

وفى إطار التناول القرآنى للفظ «الحق» نراه يقع على كل قضية ثابتة بأن كان سبب ثبوتها اتيانها من مصدر وثيق ، أو بدهية لا ترتاب فيها العقول . أو تنطوى على خير وصلاح ظاهرين .

كما يقع هذا اللفظ على القضايا الواقعة ، والمشاهدة .

ويستخدم «الحق» وهو الشىء الواقع الثابت فى مقابلة الباطل وهو كل أمر زائل . ضائع .

فكل وعد أو وعيد من الله حق لا ريب فيه .

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ (١)

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾ (٢)

وجاءت هذه الآية الأخيرة . بعد تشريعات جديدة مؤثرة فى بناء المجتمع ترسى قيما أعلى لدولة الإسلام الناشئة بالمدينة ، ومنها تحريم الظهار والزام المظاهر بالكفارة . إذ ما ينبغى له أن يجعل الزوجة كالأم . ومنها ابطال عادة التبنى وإلحاق الابن بأبيه . وهذا يؤكد قيمة ختم الآية بهذه العبارة **﴿والله يقولُ الحقّ﴾** .

وقد سبق أن أشرنا بايجاز إلى شفاعة نوح لابنه . وكأنه عليه السلام وهو الرسول الكريم الذى قضى حياته فى سبيل الحق أحس

---

(١) سورة الأنعام/٧٣ .
(٢) سورة الأحزاب ٤

فى مطلبه بما يتنافى مع عظمة الحق سبحانه ، فكان منه هذا الاحتراس الواعى الذى أكد فيه إيمانه العظيم بعدالة الله ، فقال :

﴿وإنَّ وَعْدَكَ الحقُّ وأنت أحكمُ الحاكِمينَ﴾

ويقول الله تعالى مؤكداً وعده أو وعيده ، وأنه حق واقع لا ريب فيه ، فيقول سبحانه : ﴿اَلآ اِنَّ للهِ مَافِى اَلسَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَلآ اِنَّ وَعْدَ اَللهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [1]

إن سر انحراف الإنسان عن منهج ربه ، وجرأته على تجاوز حدوده هذه الغفلة الداهمة التى تملك أقطار قلبه ، فتنسيه الملك الحق ، واليوم الحق ، والوعد الحق ، ولا يتذكر خطيئته إلاّ عندما يتخلى عنه شيطانه الذى اطغاه ، وبالخطيئة أغراه ، فألبسه ثياب الغفلة ، إذ يأتى اليوم الحق فيستبصر الغافل لكن بعد فوات الأوان . يقول تعالى : ﴿وَقَالَ اَلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ الْاَمْرُ اِنَّ اَللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَاَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ اِلاَ اَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لى فَلاَ تَلُومُونى وَلُومُوا اَنْفُسَكُمْ مَآ اَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ اَنْتُمْ بِمُصْرِخِىَّ﴾ [2]

هذه هى النتيجة . وعد الله حقيقة راسخة ، ووعد الشيطان باطل ، وضلال ، وقد شهد بهذا الحق اعدى أعداء الحق وهو الشيطان فى موقف لا يملك فيه ـ مع حرصه على الاغواء ـ الا أن يقول الحق .

وليس فى هذا الموقف وحده ينهزم الباطل أمام الحق ، وتتلاشى

(١) سورة يونس/٥٥ .

(٢) سورة إبراهيم/٢٢ .

الأوهام أمام الحقائق ، وينتصر الواقع الثابت أمام الخيال الزائل ...

ولكن هناك صور أخرى

فرعون والسحرة ... أمام موسى

لقد أعد السحرة كل ما يملكون من فنون السحر ، وحيله وأسبابه ، وأجمعوا أمرهم وشركاءهم ، وجاءوا صفاً ، معتزين بفرعون . وجبروته ، وتملك موسى الخوف من هذا التجمع الباغى . وطمأنه ربه . وقال له : **﴿وَأَلْقِ مَافِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾** [1]

ونفّذ نصح ربه ، وواجه باطل السحر بالحق الذى علمه الله إياه وكانت الآية الرائعة التى هزت الجميع ، ودفعت أئمة الباطل إلى الإيمان واليقين ، فخروا لرب موسى وهارون ساجدين **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [2]

وكانت موقعة لقى فيها الباطل مصرعه أمام عزمة الحق ورسوخه .

ومثال آخر

بنو إسرائيل .. والميثاق

أخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل بأن يلتزموا كتاب الله ،

---

(١) سورة طه/٦٩ .

(٢) سورة الأعراف/١١٨ وفى سورة يونس وصف فرعون وسحرته آية موسى بأنها سحر ورد موسى عليهم بأنها حق : **﴿قال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ؟؟ ولا يفلح الساحرون﴾** يونس/٧٧ .

ويستمسكوا بدينه ، ويقفوا عند حدوده . فنقضوا الميثاق ، وضيعوا الدين ، وزيفوا حقائقه ، وكذبوا على ربهم هؤلاء هم بنو إسرائيل فى عصر القضاة حين بدأ انحرافهم يستشرى وضلالهم ينتشر[1] حكى الله لنا ذلك عنهم عبرة وموعظة . فقال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]

وصورة أخرى

انتصار الحق .. فى قصة يوسف

وصورة أخرى للحق وهو أمر واقع عندما ينتصر على الباطل ، ويظهر عليه ، فينحسر مده بعد زحف وانتشار . نرى ذلك فى قصة يوسف ، وقد توالت عليه المحن ، فما كاد يخلص من محنة الحسد ، حتى تلقته محنة المراودة التى انتهت به إلى السجن الذى لبث فيه بضع سنين بلا جريرة ، ثم أخذت تتضح معالم شخصيته ، وتظهر دلائل براءته . وفى آخر تحقيق أجراه الملك بنفسه ، لم يجد المذنب مناصا من الاعتراف بذنبه ، يبدو ذلك فى قوله تعالى على لسان امرأة العزيز : ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3]

---

(١) راجع كتابنا : بنو إسرائيل فى القرآن .
(٢) سورة الأعراف/١٦٩ .
(٣) سورة يوسف ٥١

وفى غزوة بدر

خرج النبى عليه الصلاة والسلام ، ومعه المهاجرون والأنصار إلى الجهاد ، وفيهم من كره الخروج ، لكن الجهاد حق أوجبه الله عليهم ، ليكونوا أعزاء ، ولينتصر على أيديهم دينه ، وجادلوا النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحق المبين وهو الجهاد الذى توافرت بواعثه ، وفرضته ظروف الدعوة ، وأصبح حقا عليهم فيقول تعالى ، مخاطباً نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام : ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١)

والمنافقون ... فى غزوة تبوك

وضعوا بذور الفتن وأثاروا القلاقل ، وظنوا أنهم بذلك يصلون إلى ما يريدون ثم ماذا كان ؟ ! يخبرنا رب العالمين بالنتيجة ، وهى أمر حتمى ، وواقع لا محالة إذ انتصر الحق ، وهو واقع ، على الباطل وهو زائل ، فيقول سبحانه : ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَآءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٥)

ورسل الله إلى إبراهيم

وقد جاءوا لإبراز قضية الحق فى موقفين ، وفى مناسبة واحدة ،

---

(١) سورة الأنفال/٥ ، ٦ .

(٢) سورة التوبة/٤٨ .

أولهما : حق القدرة الإلهية فى تجاوز الأسباب . وثانيهما حق الانتقام من الظالمين .

ففى الموقف الأول قدموا البشرى لإبراهيم بأن الله سيرزقه بغلام عليم هو اسحاق ، وهذا حق أراده الله له ، مهما عارضت الأسباب ، مكافأة لإبراهيم على صبره فيما ابتلاه به ربه من الأمر بذبح وحيده . وتتملك الدهشة زوج إبراهيم ؟ إذ قالت : ﴿**قَالَتْ يَاوَيْلَتَىٰٓ ءَاَلِدُ وَاَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِى شَيْخاً**﴾[1] ؟!! وفى آية أخرى يصف الله لنا وقع الأمر عليها ، إذ ضربت وجهها بيدها ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾[2] بل إن الدهشة لم تترك إبراهيم نفسه ، إذ قال : ﴿**اَبَشَّرْتُمُونِى عَلٰى اَنْ مَسَّنِىَ اْلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾ ؟ ويأتى الرد على ألسنة الرسل بأنه حق اراده الله . ولا بد أن يكون : ﴿**قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُنْ مِنَ اْلْقَانِطِينَ**﴾[3]

وفى الموقف الآخر

عندما عرف إبراهيم مهمة الرسل الذين بشروه ، وأنهم ملائكة الله جاءوا لعذاب قوم لوط . وذهبوا إلى لوط فلم يعرفهم ، وسىء بهم وضاق بهم ذرعا ، لأنه لا يستطيع حمايتهم من بغى قومه الذين جاءوا يهرعون إليه ، فأعلموه مهمتهم ، وقالوا كما حدثنا الله : ﴿**اِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوآ اِلَيْكَ**﴾[4] وإننا جئناك من أجل حق جادلك

---

(١) سورة هود/٧٢ .
(٢) سورة الذاريات/جزء من الآية ٢٩ .
(٣) سورة الحجر/٥٥ .
(٤) سورة هود/جزء من الآية ٨١ .

فيه قومك كثيراً ، بل إنهم سخروا منك وأنت تحذرهم بطش الله بهم . هذا الحق هو انتقام الله منهم . وأن الظالم مهما طال الأمد به لن يفلت من العقوبة . يقول تعالى : ﴿**قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ . وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ (١)

ودعوة الحق ...

... من الحقائق الراسخة فى هذا الوجود ، وهى واقع صحيح من حيث بواعثها وثمرتها ، ويحركها عقل صحيح ودين قويم ؛ ودعوة الباطل لا أساس لها ولا استقرار .

فكل ضراعة صادقة ، وابتهال خالص يتجه إلى الله وحده هو دعوة حق . تؤتى ثمارها . وتحقق إجابتها .

والضراعة لغير الله باطل وضلال . ولن توصل صاحبها إلى الشيء الذى يريده ، ولن ينال منها إلاّ العناء والبلاء .

وكل دعوة تدعو الناس إلى خير وفلاح . وتهديهم إلى دين الله حق هى دعوة حق لأنها بملامحها وسماتها لن تكون كذلك إلا إذا كانت صادرة من الواحد الحق .

يقول تعالى : ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ**﴾ (٢)

ومادام الحق هو الواقع الصحيح الصادق ، الموائم للدين

---

(١) سورة الحجر/٦٣ . ٦٤ .

(٢) سورة الرعد/١٤ .

السماوى ، والمساير لسنن الله فى الكون ، فهو لا يقبل المهادنة ولا المفاوضة ، ولا أنصاف الحلول ، وليس من الحق أن نقف بالحق عند منتصف الطريق ، ونتوقف ظناً منا أنه القصد أو الاعتدال ، وما هو باعتدال ، إذ أن الأمر كما يقول سبحانه : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ﴾ ؟ فإما حق وإما باطل ، ولا ثالث لهما .

ومن الحقائق التى يشهد بها الواقع : أن الحق فى صراع دائم مع الباطل

وهو صراع حتمى ينتهى بغلبة الحق ، إذ هو واقع ثابت ، وقانون احتوى عناصر البقاء ، وأسباب الحياة والاستمرار ، والباطل أمامه هراء ، شكل بلا معنى ومظهر بلا مضمون .

وقدم القرآن الحديث عن غلبة الحق فى أكثر من موطن .

منها ما قدمناه فى هذا الباب : الحق .. الأمر الواقع .

ومنها ما يقدمه القرآن الكريم بمثابة قوانين قائمة فى الكون العظيم تشير إلى حتمية انتصار الحق فى نهاية الأمر .

من ذلك قوله تعالى تعقيبا على انتصار موسى ، والقلة المؤمنة على فرعون وملأه ﴿وَيُحِقُّ ٱللهُ ٱلحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [1]

وفى سياق الحديث عن تأييد الله تعالى لرسله وأنبيائه يأتى هذا التعقيب الذى يشير إلى مامنحه الله للحق من أسباب الغلبة حتى تكون له العاقبة ، فيقول تعالى : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ

(١) سورة يونس/٨٢ .

فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (١)

وإذا كان انتصار الحق سنة ثابتة وقانوناً لا يتخلف فلأجل هذا نجد رب العالمين يأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بتبليغ هذا القانون للناس كغيره من قوانين الدين والحياة ، فيقول تعالى : ﴿**وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ (٢)

ويأتى هذا المثل القرآنى الحكيم ليعطى تجسيداً معبراً لهذا الصراع ، مستمدا من مشاهد هذا الكون الذى نعيش فى رحابه حيث نرى الحق والباطل كالماء والزبد . أو المعدن الكريم وما يداخله من خبائث ، والمعركة هى ذات المعركة ، والنتيجة هى ذات النتيجة ، الماء يقهر الزبد ، والنار تستخلص المعدن النفيس من الدخيل الخسيس .

يقول تعالى : ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾ (٣)

٥ ـ الحقوق المتبادلة :

فلله على عباده حقوق ، وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا

---

(١) سورة الأنبياء/١٨ .
(٢) سورة الإسراء/٨١ .
(٣) سورة الرعد/١٧ .

يشركوا به شيئا .

وللعباد فيما بينهم حقوق متبادلة ، على أساسها تنتظم معاملتهم ، ويستقيم مجتمعهم ، وقد تكفل الدين الحق والكتاب العزيز ببيان هذه الحقوق جميعاً ، والتى تمثل جانباً من الحق .. القيمة ، الثابتة ، الخالدة .

لقد عنى الاسلام ، وكتابه الكريم بقضية الحق التى تحكم العلاقات .

والشريعة الإسلامية بما فيها من حكمة واحكام ، وعدالة وإحسان تنظم هذه الحقوق جميعا فلا يطغى بعضها على بعض . فتدعم علاقة المرء بربه ، وعلاقته بأسرته ، ومجتمعه وحكامه ، وولاة أمره ، على نحو ما جاء فى الحديث الشريف : «**إن لربك عليك حقا ولبدنك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا . ولولدك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه**»[1]

وقد ذكر القرآن الكريم عددا من الحقوق المتبادلة .

وأشار إلى جانب من حقوق الله تبارك وتعالى هو أولى بها مما عداه ، وممن سواه .

الله أحق بالخشية :

وذلك لأنها من مظاهر العبادة ، والعبودية يجب أن نخلص لله وحده .

وقد عاتب الله نبيه فى موقف خشى فيه ملام الناس ، وشائعات

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى عن سلمان الفارسى .

المنافقين إن هو بلغهم حكماً تشريعيا من أحكام الله . فتوانى بعض الشيء ذلك هو أمر الله بالزواج من زينب بعد أن يطلقها زيد بن حارثة ، حتى يبطل عمليا نظام العرب فى التبنى ، ومعاملة الابن المتبنى معاملة أبناء الأصلاب سواء بسواء وكان هذا العتاب شديداً . فيقول تعالى : ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ (١)

كما يحث القرآن الكريم المسلمين على مطاردة الشرك فى الجزيرة العربية ويؤكد لهم أنهم نقضوا العهد ، وبدءوا بالظلم ، وأخرجوا المسلمين ومنهم رسول الله ﷺ من ديارهم ، ويبين لهم أن القعود عن قتالهم معناه الخوف منهم ، والمؤمن الصادق لا يخشى إلاّ الله . فيقول تعالى ﴿**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (٢)

الله أحق بالارضاء :

إذا تحرك القلب لمرضاة أحد فلا ينبغى أن يكون ذلك على حساب رضوان الله ، فيجب أن نعمل لما يرضى الله وإن أسخط

(١) سورة الأحزاب/٣٧ .
(٢) سورة التوبة/١٣ .

الناس جميعاً . وقد حدثنا القرآن الكريم عن المنافقين الذين كانوا يبذلون الايمان الكاذبة ليرضى المسلمون عنهم ، ويستروا نفاقهم ، غافلين عمن هو أحق بالرضا ، فيقول تعالى : ﴿**يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[1]

والحقوق المتبادلة بين الناس :

جاء القرآن الكريم بدعمها والذياد عنها ، والتحذير من العدوان عليها . سواء أكانت الحقوق تتصل بالمال ، أم الدم ، أم العرض ، أم نحوها من الحقوق الممنوحة للإنسان بأى صورة من الصور .

ولا أدل على ذلك من موقف له شأنه فى رعاية حقوق الناس تصدى له الكتاب العزيز ، ونزلت فيه آية كريمة ، عظيمة الشأن تعد دستوراً للحياة الاجتماعية ولما لها من حقوق ، لا ينبغى اهدارها .

«لما تزوج الرسول ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ، ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبى ﷺ ليدخل ، فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت ـ المتحدث هنا أنس بن مالك رضى الله عنه ـ فأخبرت النبى ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى وبينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ**

(١) سورة التوبة/٦٢ .

ٱلنَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَٱللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ . وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ ، ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبداً إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيماً﴾[1]

فى هذه الآية مجموعة من الحقوق ، منها ما يخص النبى الكريم . ومنها ما هو عام لكل البيوت فما يخص النبى ﷺ حرمة أزواجه على الناس بعده .

وأما الحجاب ، وآداب الطعام ، وألا يجلس الضيف لانتظاره ، وألا نثقل على المضيف بالإكثار من الحديث بعد الأكل فتلك حقوق عامة .

لكن الذى يلفت النظر هو هذا الجزء من الآية **﴿والله لا يستحيي من الحق﴾** هذه هى منزلة الحق يقررها رب العالمين . وأن الحياء لا ينبغى أن يحول دون إعلان الحق ، لقد استحيا النبى الكريم من ضيوفه الثقلاء ، وعانى كثيراً ، وتحمل ، لكن رب العالمين لا يستحيي من الحق ، ليكون ذلك درساً للثقلاء الذين يهدرون حقوق الناس .

ولقد كان للسيدة عائشة رضى الله عنها تعليق على الموقف ، وقد أحست بألم النبى ﷺ فى تلك الليلة : «كفى بالثقلاء ذما ان

(١) الحديث رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه . وللحديث روايات عدة ذكرها ابن كثير عند تفسيره للآية والآية رقم ٥٣ من سورة الأحزاب .

أنزل فيهم قرآنا .»

وثمت آية أخرى تحمل كل أسباب الحفاظ على الحقوق

هى أكبر آية فى القرآن الكريم . وتعد أقوى لبنة يضعها الكتاب العزيز من أجل الحفاظ على الحق ، وصيانته لصاحبه ، تلكم هى آية الدين ، يقول تعالى : ﴿**يَاۤأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ...**﴾[1] الآية

لقد تكررت كلمة «الحق» فى الآية ، وذكرت مرتين ، والمقصود بها فيهما حقوق الناس فيما بينهم .

وهذا شاهد آخر يدعو إلى رد الحق لصاحبه ويعالج بإيجاز رائع الحقوق فى العلاقات الزوجية .

فمن المعلوم شرعا أن من حق الزوج أن يعيد زوجته المطلقة إلى عصمته أثناء عدتها فيقول تعالى : ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]

---

(١) سورة البقرة/٢٨٤ .

(٢) سورة البقرة/٢٢٨ .

لقد أشارت الآية إلى هذا الحق من حقوق الزوج ، وأنه أحق بأن يردها لعصمته ما دامت نية الاصلاح قائمة . ثم نلحظ أن الآية توجز كل حقوق الزوجية للطرفين على السواء ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ أى لهن من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات ، ثم تعطى رئاسة الأسرة ، والقوامة عليها للرجل بماله من إمكانات ، وما يتحمله من مسئوليات لم تلزم بها المرأة . ومن هنا ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾

ومن أعجب الأمور فى قضايا الحقوق موقف المنافقين من شريعة الله .

إن كان عليهم حق أعرضوا عن شرع الله ؛ لأنهم يعرفون حق المعرفة أنه سيؤخذ منهم حقوق الغير عليهم مهما كانوا ذوى جاه أو وجاهة ، وإذا كان الحق لهم أذعنوا لحكم الله وشرعه ، يقول تعالى : ﴿**وَإِذَا دُعُوٓا إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**﴾[1]

وهذا الموقف من المنافقين أكدته هذه الآية أيضاً : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَآ أَنْزَلَ ٱللهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً**﴾[2]

من صاحب الحق فى الولاية ؟

هى قضية من قضايا الحقوق بين الناس . فمن الأحق بالولاية ؟

---

(١) سورة النور/٤٩ .

(٢) سورة النساء/٦١ .

أهو صاحب المال واسع الثراء ، أم صاحب الحسب والنسب ؟ أم أن الولاية لها شروط لا بد أن تتوافر فيمن يولى ليستطيع أن يقوم فى الناس بالقسط ، وينهض بأعباء الولاية ؟

بنو اسرائيل بأهوائهم وضلالهم كانوا يرون المال ــ وهو معبودهم ــ أساسا ، ورب العالمين اختار لهم من يستطيع أن يسوسهم سياسة عادلة فلم يعجبهم برغم كفاءته .

إنها قصة طالوت مع قومه بنى اسرائيل ، وسنترك الآيات الكريمة تحدثنا بايجاز عن القصة ثم تشير إلى الأحق بالولاية :

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [1]

وإذا أردنا أن نواصل الحديث فى مجال الحقوق ، باحثين عن الأحق ، أو من الأولى بهذا الحق دون غيره ؟ نجد القرآن الكريم قدم لنا فى حكمة صادقة ، وقول حكيم مجموعة من الأولويات يضعها المسلم منهاجاً له فلا يتجاوزها حتى لا يقع فى الظلم عندما يصرف الحق لغير صاحبه .

وسنتناولها ــ بجانب ما سبق ــ فيما يلى .

المؤمنون أولى بالتقوى :

وإذا كان فى قلب الكافر حمية تدفعه إلى الحرص على تقاليد

---

(١) سورة البقرة/٢٤٧ .

الجاهلية ـ وأعرافها فإن المؤمنين فى قلوبهم التقوى ، وهم أحق الناس بها ـ لتلزمهم شريعة الله ، وحكمه وقد جاءت المقارنة بين تقوى المؤمن ـ وجاهلية الكافر فى هذه الآية التى نزلت فى سياق عدد من الآيات بعد صلح الحديبية . يقول تعالى : **﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً﴾**[١]

فالتقوى مراقبة لله فى القول والعمل ، وتذكر دائم لجلاله ـ وأن يراك حيث دعاك وأن يفتقدك حيث نهاك ، ومن أولى بهذا المستوى فى ميدان العقيدة والتفكير ، والسلوك من أهل الإيمان واليقين .

الداعى إلى الحق أحق بالاتباع

وهذا قضية قرآنية أخرى تسير على منهج المفاضلة أيضاً ـ أعنى من الأحق وهى أولوية قرآنية لا إخال أحدا ممن استقامت عقولهم وفطرهم يختلف عليها .

من الأحق بالاتباع ؟ صاحب الهوى الذى يصوغ دعوته من هواه ـ ووسوسة شياطينه أَم مَن يدعو إلى الحق بالمقاييس الاسلامية للحق ، ملتزما كتاب الله وسنة رسوله ، متبعاً الدعاة الهداة من قبله فى مناهجهم ؟!!

أَنتبع الذى يتخذ من الدعوة ـ وإن كانت حقا ـ مغنى وربحا وتجارة ووجاهة بين الناس ؟ أم من يسلك سبيلها يبتغى وجه الله ،

(١) سورة الفتح/٢٦ .

ويرجو رضاه . ؟

لقد عرض الكتاب العزيز هذا التساؤل .

وترك الإجابة عنه لفطرة المؤمن بما تحمل من سلامة ورشد ، وصدق فى التصور فقال تعالى : ﴿**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِى اِلَى الْحَقِ قُلِ اللهُ يَهْدِى لِلْحَقّ اَفَمَنْ يَهْدِى اِلَى الْحَقّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لاَ يَهِدِّى اِلاّ اَنْ يُهْدٰى فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (١)

ولا شك أن الاجابة الحصيفة الصادقة : أن من يهدى إلى الحق أولى بالاتباع من هذا الذى لا يهدى إلى شىء إلاّ إذا هداه إليه غيره لعماه وبكمه ؟

هذا فرق دقيق يتحدد به حقيقة الداعية الجدير بالاتباع .

على أن القرآن الكريم فى موضع آخر قدم إجابة عن هذا السؤال ؛ إذ يقول رب العزة سبحانه : ﴿**اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْئَلُكُمْ اِجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (٢)

المسجد الذى بنى لله وحده أحق المساجد بالصلاة فيه

وهذه قضية ثالثة تسير على المنهج ذاته .

المساجد كثيرة ، ومتعددة ، منها ما يقوم لله مطهرا من كل شرك ، ووثنية ؛ ليعبد فيه الله وحده ، يرجى ثوابه ، ويخشى عذابه ، ويلتقى فيه المؤمنون الصادقون على العبادة الخالصة ، والمحبة ، والمودة ، وتدبير أسباب الخير لمجتمع المسلمين ، وهناك أماكن تحمل هذا الاسم الكريم لكن لوثتها الأهواء ، واتخذت خطة

---

(١) سورة يونس/٣٥ .

(٢) سورة يس/٢١ .

ماكرة لتدبير الكيد والبلاء .

عرف المجتمع المسلم من النوع الأول مسجد قباء . أول مسجد أسس فى الاسلام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ثالث ثلاثة من المساجد التى تشد الرحال إليها ، ومساجد أخرى كثيرة . وعظيمة ارتفعت مناراتها فى أنحاء المعمورة .

كما عرف المجتمع المسلم منذ نشأ من النوع الثانى مسجد الضرار الذى أنشأه المنافقون ليخلوا فيه إلى مكائدهم وأحقادهم ضد الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام ولم تكن أهدافهم واضحة أول الأمر . وكان لا بد من بيان سماوى ، يوجه النبى عليه الصلاة والسلام ، وينبهه إلى ما يراد . ثم لتأتى الاجابة عن هذا التساؤل أى المساجد أحق أن يقوم فيه رسول الله ﷺ ؟

وتنزل الآية الكريمة التالية ، وفيها الجواب : **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾** [١]

المؤمنون أحق بالأمن

قضية رابعة على الطريق ذاته

الأمن مطلب إنسانى . يشعر فيه المرء بنعمة الحياة ، ويسعد

---

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

بها ، وفى ظلاله يعمر الإنسان ، ويبنى ، ويتقدم ، وإذا فقده الإنسان فقد ملذات الحياة كلها . ويتحقق الأمن فى ظلال الإيمان الصادق ، الخالص لله ؛ إذ أن المرء يدرك مع الإيمان عناية القوى القادر ، ورعايته ، وحفظه ، فلا يبالى بأس غيره .

ومن الحكم الراشدة فى هذا المجال قول الشاعر :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيى دينا
ومن طلب الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا

لقد حاور إبراهيم عليه السلام قومه فى هذه القضية . إنهم أشركوا بالله ، واتخذوا له أندادا ، ومن حمقهم أن خوفوه من آلهتهم ، فى الوقت الذى لم يخافوا هم فيه من رب الأرض والسماء . وهذا أسوأ مستوى يهوى إليه العقل الإنسانى .

وقد قدم لنا القرآن الكريم حوار إبراهيم عليه السلام عبرة وموعظة ودرسا ، وفيه الإجابة عن السؤال : من الأحق بالأمن ؟

يقول تعالى : ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوآ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (١)

وبهذا الرد الذى يحمل أسباب الإفحام والإبلاس آتى الله نبيه إبراهيم الحجة على قومه .

ومن الأحق بالشهادة ؟

قضية قرآنية خامسة على طريق إعطاء الحق لصاحبه

---

(١) سورة الأنعام/٨١ - ٨٢ .

الأحق بالشهادة المسلم العدل . وإذا كانت الشهادة على وصية لرجل حضرته الوفاة فالأحق بالشهادة اثنان من عدول المسلمين[1] فإن حضرته الوفاة وهو على سفر . ولم يتيسر له شاهدان من المسلمين . فليشهد اثنان غير عند المسلمين . ويسلمهما المحتضر ماله ليوصلاه إلى أهله . ويأتى بهما ولى الأمر بعد الصلاة إذا تشكك أهل المتوفى فى السفر فى ذمتهما ، فيحلفان بالله على أن هذا الذى وصى به الرجل . وأشهدنا عليه ، وأننا لا نبيع أمانتنا وذمتنا بثمن ، ولا نكتم شهادة . فإن تبين بعد هذا أنهما كاذبان . فيتقدم اثنان من أقارب المتوفى يقسمان بالله أنهما أحق بالشهادة لقرابتهما واسلامهما ، وأنهما لن يعتديا ، وأن مال صاحبهما هو كذا وكذا ، ثم يقضى بشهادتهما .

هذا الحكم وإن كان من الأحكام النادرة والقليلة لكن نزلت فيه آية عظيمة من كتاب الله تبين من الأحق بالشهادة ، والذى يحسم بقوله الخلاف ، سنذكرها بعد .

لكن هذه الواقعة النادرة كان لها شهرة فى عهد السلف ، واختلفت فيها وجهات النظر كما أن لها قصة تعد سببا لنزول الآية

(١) حكى ابن جرير عن عكرمة بن عبيدة أنهما اثنان من أقارب المتوفى ، أو من غيرهم أى من غير الأقارب إذا لم يوجد الأقارب . ويرى جمهور التابعين أن المراد بقوله تعالى : ﴿**ذوا عدل منكم**﴾ من المسلمين . وبقوله ﴿**أو آخران من غيركم**﴾ من غير المسلمين . والأئمة الثلاثة لا يجيزون شهادة الذمى على المسلم ، وأجاز أبو حنيفة شهادة الذمى على الذمى . وتفرد الإمام أحمد بجواز شهادة الذمى على المسلم . وفى الآية دلالة على هذا لكن بشرط السفر . وحضور الوفاة أى فى هذه الحالة بخاصة

التى نزلت فيها .

موجزة هذه القصة[1] أن بديل بن أبى مريم ، مولى عمرو بن العاص ، وهو مهاجرى خرج فى سفر إلى الشام مع عدى بن زيد ، وتميم بن أوس ، وكانا نصرانيين ، وكان هدفهم التجارة ، ومرض بديل ، وحضرته الوفاة ، وكتب وصية أودعها فى متاعه ، وأمر صاحبيه أن يسلما المتاع لأهله .

ويبدو أن صاحبيه[2] أخذا شيئا من المتاع ، عرفه أهله عندما كشفوا عن الوصية ، وعرفوا محتواها ، ورفعوا الأمر لرسول الله ﷺ ، فاستحلف الرجلين بعد الصلاة أنهما ماخانا شهادة الله ، ثم أتى اثنان من أقارب «بديل» فحلفا أنهما أحق بالشهادة ، وما اعتديا ، وأن لصاحبهما متاعا مفقودا عند هذين الشاهدين[3]

فى ظروف هذه القصة ذات المغزى الكبير ، والتى تبين إلى أى

---

(١) هذه القصة رواها البخارى وأبو داود وذكر ابن كثير عدة روايات بعضها غريب وبعضها مرسل ، وفيها الصحيح . راجع القرطبى وابن كثير . وتفسير المنار .

(٢) تذكر الروايات أن الرجلين هما : تميم الدارى ، وعدى بن بديل ، أسلم تميم سنة ٩هـ وشعر بالإثم ورد المال إلى أقارب بديل - راجع لبن كثير جـ ٢ ص ١١٢ وما بعدها .

(٣) هذه القصة تكررت مرة أخرى بعد عهد النبى ﷺ . روى الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة ، ولم يجد شهودا من المسلمين فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، فقدما الكوفة ، وأتيا أبا موسى الأشعرى فأخبراه بتركته ووصيته ، فقال الأشعرى : هذا أمر لم يكن بعد الذى كان على عهد الرسول ﷺ ، ثم أحلفهما بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ، ولا كتما ، ولا غيرا ، وإنها لوصية الرجل وتركته ، ثم أمضى شهادتهما . ويروى ابن جرير أن ابن عباس قال لأبى موسى ، استحلفهما بعد صلاتهما فى دينهما فإنهما لا يباليان بالحلف بعد صلاة العصر عندنا « راجع تفسير ابن جرير الطبرى . وابن كثير للآية » .

مدى يهتم الاسلام بقضية الحق ، والحفاظ عليها ، وتحرى أهله نزلت هذه الآية الكريمة التى بينت : من الأحق بأن يقوم بالشهادة مقام الشاهدين الآثمين اللذين استبان ضلالهما . يقول تعالى :

﴿يَاءَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ . فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ[1] فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2]

للزرع حق على صاحبه

إن لما تخرجه الأرض من زروع وثمار حقا يجب أن يؤدى ، وحقها فى المبادرة بإيتاء ما يستحق عليها من زكاة للفقراء والمساكين ، وغيرهم من مصارف الزكاة قال تعالى : **﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا**

---

(١) هما اثنان من أقرب المتوفى كما يقول ابن كثير وهذا لتحليف الورثة والرجوع إلى قولهم فى الحالة هذه ، كما يحلف أولياء المقتول إذا ظهر لوث فى جانب القاتل فيقسم المستحقون على القاتل ، فيدفع برمته إليهم ، كما هو مقرر فى باب القسامة من الأحكام

(٢) سورة المائدة ١٠٧

حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوآ اِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1]

ومما يلفت النظر النهى عن الإسراف فى سياق الأمر بالزكاة ليستبين لأولى الألباب أن الإسلام يرفض الإفراط والتفريط .

وللقريب حق على قريبه

بأن يوليه بِرَّه ووده ، ويشمله بعطفه ، ويشاركه آلامه وسروره ، ويسارع إلى قضاء حاجاته ، وإن كان فقيرا آثره بالصدقة ، قال تبارك وتعالى : **﴿وَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَى حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾**[2]

وتجدر الملاحظة ذاتها عندما نرى التحذير من التبذير ملازما للأمر برعاية حقوق القرابة . وإنها وسطية الاسلام التى تؤكد أنه دعوة الحق . وكفى .

٦ ــ العلم الصحيح ... حق :

العلم قواعد ثابتة ، وأصول راسخة انتهى الأمر فيها إلى أنها قضايا مسلمة . ومن هذه القواعد ما يصل إليه الإنسان عن طريق الدين الذى جاء به رسول من عند الله ، مزوداً بآية تثبت رسالته ، وتؤيد نبوته ، وبهذا يكون ما يخبر به الرسول عن ربه حقائق علمية لا تقبل المجادلة ، إذ توافرت لها أسباب الصحة والاستقامة من حيث مصدرها ، وأسلوب توصيلها ، وصيانة الإنسان الموصل

---

(١) سورة الأنعام/١٤١ .

(٢) سورة الإسراء/٢٦ . . وانظر سورة الروم/٣٨ .

(الرسول) من تأثير أهواء الآخرين عليه وهو المعروف فى علم العقيدة بعصمة الانبياء .

وقد أسلفنا أن القرآن حق . وهو مجموعة من المعارف . والعلوم الصحيحة ، جاءتنا من لدن حكيم خبير ، وقد نزل بها الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ ليكون من المنذرين .

وصحة المعارف والأخبار والعلوم القرآنية ، لم يكن مجرد حكم أصدرته عاطفة الإنسان المسلم ، وإنما هو حكم الواقع . ونتيجة المعايشة والمصارعة مع النظم والمعارف التى ظهرت فى فترات التاريخ المختلفة . والذى نقطع به . ويقطع به معنا كل منصف أنه قد مضى على نزول القرآن الكريم أربعة عشر قرناً ، ولم ينجح أعداؤه فى النيل منه . أو إثبات فساد حكم من أحكامه ، أو تكذيب خبر من أخباره ، أو التهوين من أمر شرعة من شرائعه ، بل العكس من هذا يمر الزمن فيضيف جديداً يثبت عظمة هذا الكتاب ، وأنه حق من لدن حكيم خبير . وليس للباطل قدرة على التسلط عليه .

وهناك علوم يصل إليها الإنسان عن طريق العقل الصحيح ، المجرد من الأهواء ، البعيد عن التأثر بأعراف البيئة وتقاليدها الموروثة . أو بأفكار الآخرين .

وهناك علوم يصل إليها الإنسان عن طريق الحس والتجربة .

ويقابل العلم الصحيح الظن . والحدس . والوهم وهى أمور قد يصدر الإنسان أحكامه بناء عليها فتكون أحكاما غير علمية ، وبعيدة عن الحق .

لقد جاء فى القرآن الكريم التحذير من أكثر الظنون فقال تعالى : ﴿**يَآءَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [1]

وهذا التوجيه من العليم الخبير له شأنه ؟ لأنه الظنون تصدر غالباً مصبوغة بالأهواء متأثرة بألوان من الهواجس والانفعالات التى تبعد بها عن الحق وعن الواقع .

ولذا جاء فى نصح النبى ﷺ : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» [2]

وقد دعا النبى عليه الصلاة والسلام أمته إلى عبادة الله وحده ، وحذرهم من اتخاذ الأنداء ، والوسطاء ، والشفعاء ، وقال عن اللات والعزى ومناه ، كما تحدث الكتاب العزيز : ﴿**إِنْ هِىَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ مَآ أَنْزَلَ ٱللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْهُدَى**﴾ [3]

فبين لهم أن إتخاذ الأصنام وسيلة ليس قائما على علم صحيح ، وإنما هو قائم على ظن وهوى ، ولا يعتد بعلم يقوم على أساس باطل ، إذ هو بهذا أدنى من أن يسمى علما .

وهكذا يحكم القرآن الكريم على المعلومات التى واجه بها أكثر العرب رسالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى الجانب الإلهى وغيره بأنها معلومات ظنية ، لا تسمى علما ، ولا تعد حقا ، لأن

---

(١) جزء من الآية رقم/١٢ من سورة الحجرات .
(٢) جزء من الحديث الشريف الذى رواه البخارى عن أبى هريرة .
(٣) جزء من الآية/٢٣ من سورة النجم .

العلم الصحيح ـ وحده ـ هو الحق فيقول تعالى : ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بما يفْعَلُون**﴾ (١)

والمفهوم من الآية أن معارفهم .. فيما يتصل بالله ـ وَهْمٌ ، لا تفيد علما صحيحا ، وبالتالى لا توصل إلى حق .

٧ ـ العدل حق :

العدل وجه من وجوه الحق ، وصورة من صوره . وهو يلتقى مع المعنى الشامل للحق ، بأنه قيمة ثابتة . وحقيقة راسخة ، وصف الله نفسه بالعدالة ، وسمى نفسه .. بالعدل ..وحرم الظلم على نفسه . وجعله محرما بين الناس .

وعلى قدر ما فى الظلم من اعتداء على الحقوق بقدر ما فى العدل من رعاية لها .

والعدل بالنسبة لله : أنه أعطى كل شىء خلقه ، وهداه إلى أسباب تحصيل رزقه ، وزوده بما يستعين به على ظروف حياته .

وإذا كلف زود المكلف بكل ما يعينه على تنفيذ ما كلف به .

ويعفو عما يصدر عن المكلف خارجا عن حدود طاقته . أو بدون إرادته ، ووضع سبحانه أسمى وأثبت قواعد العدل فى علاقته بخلقه مثل قوله سبحانه : ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ (٢) ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** .

---

(١) سورة يونس ٣٦ .

(٢) سورة المدثر ٣٨

وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [1] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [2]

والعدل فى علاقات الناس بعضهم ببعض يعنى بالنسبة للفرد : الموازنة بين الروح والجسد ، أو مطالب الدين ، ومطالب الدنيا ، كما يعنى أيضاً إعطاء الحق لصاحبه ، ولذا وجدنا القرآن الكريم يعد الشرك ظلماً ، والمشركين ظالمين ؛ لأنهم صرفوا حق الله فى العبودية الخالصة إلى غيره ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [3] . وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [4] والظلم هنا هو الشرك[5] وقال : ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [6]

والعدل فى العلاقات بين الناس يعنى أيضاً المساواة بين الناس صغيراً ، أو كبيرا ، وقد دعا الله تبارك ، وتعالى الناس جميعاً إليه ؛ إذ قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [7]

---

(١) سورة الإسراء/١٥ .
(٢) سورة الأنعام/٥٤ .
(٣) جزء من الآية/١٣ من سورة لقمان .
(٤) سورة الأنعام/٨٢ .
(٥) راجع تفسير القرطبى للآية السابقة .
(٦) جزء من الآية/٢٥٤ من سورة البقرة .
(٧) سورة النساء/١٣٥ .

وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾[1]

والذى يعنينا أن نثبته هنا أن العدل حق . وأن القرآن الكريم فى تناوله لمعنى الحق ولفظه ذكره فى عدة مواطن بمعنى العدل . والعلاقة بينهما ـ فى الواقع ـ وثيقة كل الوثاقة ، لا تغيب عن العقل الصحيح . والمنطق السليم .

ونظرة إلى الآيات التى عبرت عن العدل بلفظ الحق نجدها تتصل بالله ، وتؤكد عدالته التى لا ريب فيها . يوم يقوم الناس لرب العالمين . فكلها تتصل بيوم القيامة ومشاهده لا نستثنى منها الا آية واحدة تتصل بالعدل بين الناس .

كما أن هناك موقفا قرآنيا يمثل أعلى مستويات العدالة والانصاف .

وسنبدأ بالآيات التى تتحدث عن الحق أى العدل يوم الحساب .

يقول الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾[2] والمقصود «بالحق» هنا فى قضاء الله عدالته فى محاسبته لخلقه ، وفصله بينهم . وهى حق أى أمر ثابت لا مراء فيه .

ويتأكد هذا المعنى فى هذه الآية : ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمْ

(١) سورة المائدة/٨ .
(٢) سورة غافر/٢٠ .

ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[1] والمعنى يوفيهم ما يستحقونه من الجزاء العادل.

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[2] أى عند الله موازين عادلة تعطى كل إنسان حقه، وهى التى جاء فى قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[3]

وفى موضع آخر تتحدث الآيات عن القضاء بالحق، فى موقف عظيم، يشهده الأنبياء والشهداء، يقول تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4] وشهود النبيين والشهداء تأكيد لقضية العدالة الحقة، أو الحق العادل، على أن القاضى الأعظم، وهو خير الفاصلين يعلم السر وأخفى؟ ولذا قال بعد الآية السابقة: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[5]

وبعد أن ينتهى الموقف العظيم بثواب من يثاب، وعقاب من يعاقب، وسوق الكافرين إلى النار زمرا، وسوق المتقين إلى الجنة زمرا، يمثل الملائكة حول عرش الرحمن يسبحون بحمده، بعد الفصل بين الخلائق؟ إذ يقول سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ

(١) سورة النور/٢٥.
(٢) سورة الأعراف/٨.
(٣) سورة الأنبياء/٤٧.
(٤) سورة الزمر/٦٩.
(٥) سورة الزمر/٧٠.

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

ويأمر الله نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يبصر المستكبرين بهذا الموقف الذى لا مكان فيه إلاّ للعدل ، وكلمة الحق ، فيقول : **﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾**[2]

وطلب شعيب من الله أن يفصل بالحق بينه وبين قومه عندما اشتد عليه أذاهم ، وهددوه ومن آمن به بالخروج من قريتهم ، فقال : **﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾**[3]

ويحدثنا القرآن الكريم عن ضراعة النبى ﷺ لربه ؛ إذ يدعوه آملا فى عدله ، مؤكدا رحمته ، وقدرته التى يستعين بها على ما يقوله قومه ، ويفترونه من ألوان الكذب والضلال : **﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾**[4]

وعن مالك عن زيد بن أسلم كان رسول الله ﷺ إذا شهد غزاة قال **«رب احكم بالحق»**[5]

وفى عقاب الظالمين البغاة الذين وقفوا فى وجه الرسالات ، وسخروا من الرسل ، وأنكروا حقائق الدين. عندما يعاقبهم يعاقبهم بالحق ، ويقضى فيهم بالعدل ، يقول تعالى فى شأن ثمود **﴿فَأَخَذَتْهُمُ**

---

(١) سورة الزمر/٧٥ .

(٢) سورة سبأ/٢٦ .

(٣) سورة الأعراف/٨٩ .

(٤) سورة الأنبياء/١١٢ .

(٥) ذكر ابن كثير هذا الحديث فى تفسيره لسورة الأنبياء .

ٱلصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ[1]

بهذا نرى أن لفظ «الحق» جاء بمعنى العدل فى آيات تتحدث عن يوم القيامة ، وما فيه من ميزان وجزاء ، وارتباطه بالعدل فى كل مشاهده ، ومواقفه . كما تحدث ربنا عن الانتقام بالحق والعدل من الأمم التى كذبت رسلها ، وكفرت بآيات ربها .

وبقيت آية أخيرة

جاءت فى مجال الدعوة إلى الحكم بالحق فيما بين الناس

دخل خصمان على داود عليه السلام فى المحراب ، ففزع منهم . لأنهما اقتحما السور ، إذ وجدا الباب مغلقا دون داود عليه السلام الذى تعود أن يعتزل الناس يوما للعبادة ، ويخرج يوما للفصل بينهم . وكان هذا شأنه ، فقال الخصمان ، كما أخبرنا القرآن الكريم :

﴿لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَآءِ ٱلصِّرَاطِ﴾[2]

فالخصمان هنا طلبا منه الفصل فى قضيتهما ، محذرين إياه من الشطط ، ملتمسين منه وهو رسول قبل أن يكون ملكا أن يهديهما السبيل الأقوم فيما اختلفا فيه .

وتستمر الآيات فى عرض القضية بين الرجلين : صاحب التسع والتسعين نعجة وزميله صاحب النعجة الواحدة . وأراد أن يضمها لنعاجه لتكتمل له المائة . ويفهم من سياق القصة أنه ما كان لداود

---

(١) سورة المؤمنون/٤١ .

(٢) سورة ص/٢٢ .

عليه السلام أن يعزل نفسه عن الناس بالعبادة فترة من الزمن بل لا بد من مزج أوقات العبادة بأوقات قضاء المصالح ، أو أنه ما كان ينبغي له أن يصدر حكما بمجرد سماع الدعوى ، وإن كان البغي يظهر فيها من أول وهلة ؛ إذ من قواعد العدالة أن تسمع حجة المدعى عليه . وسواء أكان المأخذ هذا أم ذاك فالشيء الذى نؤكده أن داود عليه السلام برىء كل البراءة مما نسبه إليه القصاص ورواة الاسرائيليات من حديث النساء التسع والتسعين اللاتى أراد أن يكملهن مائة بالسطو على زوجة وزيره «أوريا» الذى أرسله للحرب ليموت ،ويخلو له وجه زوجته ؛ إذ أن هذه القصة الباطلة نسجها خيال بنى إسرائيل الذين درجوا أن ينسبوا لأنبيائهم ما لا ينبغى أن ينسب لعامة الناس ، وجاء الكتاب الحق ، فبرأ ساحتهم ، ووضعهم الموضع الكريم الذى يستحقونه بجهادهم ونضالهم .

وبناء على هذا فإن الأمر بالحكم بالحق الذى صدر لداود من ربه ، والذى تحمله الآية التالية ، أساسه الأمران الأولان ــ فيما نعلم ــ لا الفرية الأخيرة التى يرددها القصاص ، يقول تعالى :

﴿يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [1]

وهذا الموقف القرآنى :

قمة الانتصار لقضية الحق والعدل .. وتلكم التفاصيل بايجاز :

---

(١) سورة ص/٢٦ .

سرق طعمة بن أبيرق درعاً لرجل من الأنصار ، ووضعها فى وعاء دقيق ، ولما بدا له أن ذرات الدقيق التى تنتهى إلى بيته قد فضحته ، وأن أمره رفع إلى رسول الله ﷺ ، أخذ الدرع ، وألقى بها فى بيت اليهودى زيد بن السمين . وانطلق نفر من عشيرته ليلا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا نبى الله ، إن صاحبنا برىء ، وإن صاحب الدرع فلان ، وقد أحطنا بذلك علما ، فاعذر صاحبنا على رءوس الناس ، وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، فقام رسول الله ﷺ ، فبرأه وعذره على رءوس الناس ، وهم بإقامة الحد على اليهودى البرىء[1] ، وتنزل فى هذه المناسبة عشر آيات من الكتاب العزيز تبرز الحرص البالغ على أن يقوم فى أمة الإسلام الحق والعدل للناس جميعيا سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ؛ إذ هذه الآيات جاءت لإنقاذ يهودى مظلوم ، فأى تشريع على وجه البسيطة يرعى القيم ، وينتصر للحق والعدل كهذا التشريع الحكيم .

ولننظر للآيات التى نزلت فى هذا الصدد ففيها عبر بالغة ومواعظ حكيمة ، وتشريعات سديدة . يقول تعالى : ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ**

(١) راجع فى هذه القصة تفسير الكشف ، والقرطبى ، وابن كثير .

مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالاَ يَرْضَى مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً * هَاأَنْتُمْ هٰؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ ٱللهُ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللهَ يَجِدِ ٱللهَ غَفُوراً رَحِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيأً فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَىْءٍ وَأَنْزَلَ ٱللهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً * لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰيهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * ﴾[1]

هذه عشر آيات إن لم تكن نزلت فى هذه الواقعة فإن سياق هذه الآيات وتتابعها على هذه الصورة يعالج الأحداث المحيطة بها .

وبالقاء نظرة على هذه الآيات نخرج بالنتائج التالية .

١ ـ تذكير الرسول عليه الصلاة والسلام بالكتاب الحق الذى أنزل عليه ، وأنه بناء على ذلك لا بد أن يحرص على الاستمساك بمنهجه . والاجتهاد فى ضوء ما قرره فى مجال التقاضى والفصل بين الخصوم .

٢ ـ دعوة إلى الاستغفار مما فكر وشرع فيه .

٣ ـ تحذير من الدفاع عن الخونة الذين يراقبون الناس : ولا

(١) سورة النساء ـ الآيات من ١٠٥ ـ ١١٤ .

يخافون الله ، فإنهم إن وجدوا من يدافع عنهم فى الدنيا سيفتقدون تماما من يفعل ذلك لهم يوم القيامة .

٤ ـ نزلت بهذه المناسبة ثلاثة تشريعات : أولها : من حق المخطىء أن يستغفر فيتوب الله عليه ، وثانيها : كل إنسان يتحمل ذنب نفسه فلا تزر وازرة وزر أخرى ، ثالثها : من يفعل الذنب ويلقه على برىء فقد تضاعف إثمه وعظم ضلاله .

٥ ـ تشير الآيات إلى أن تذكير النبي عليه الصلاة والسلام بحقيقة الواقعة وأن اليهودى برىء هو نوع من العصمة التى أرادها الله لأنبيائه ، ولولاها لأثرت فيه أهواء آخرين .

٦ ـ تختتم الآيات بالتحذير من كل شيء يدبر سرا ، وأن أكثر النجوى لا خير فيه ما لم يكن من أجل أمر بمعروف ، أو صدقة سر ، أو من أجل الإصلاح بين الناس .

٨ ـ القول الصادق حق :

يلتقى الصدق مع الحق ، فالانسان يصدق إذا تحدث بما يطابق الواقع ، إذا كان يحكي ما حدث بالصورة التى يحدث بها ، وإذا كان يعد فى المستقبل بأمور هو حريص على الحرص على الوفاء بها وإنجازها .

ويصدق الانسان إذا كان لسانه ترجمانا أمينا لقلبه ، يكشف بحق أحاسيسه ، ومشاعره فى غير التواء ، أو غموض .

والحق يستمد قيمته من ثبوته ، وأنه واقع لا ريب فيه ، والصدق يستمد قيمته من مطابقته للحق .

ومن أجل هذا كل قول صادق طابق الواقع قال عنه القرآن

الكريم : إنه حق وكل قول كاذب وصفه بأنه غير حق .

وللسبب نفسه أطلق لفظ الحق على القرآن ، وعلى العدل ، وعلى العلم الصحيح ، وعلى ما يجب للإنسان على أخيه الإنسان .

فالله تعالى لا يقول إلاّ الحق ، أى الصادق من القول ، المطابق مطابقة تامة لأحداث الحياة ، ووقائعها ، والملائم ملاءمة تامة لظروف الإنسان ومطالبه ، وحاجاته ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]

وقد أكد الله ذلك بحلمه وكرمه ـ ليطمئن عباده إلى ما يأتيهم من شرعه .

يقول تعالى : ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[2]

ويقول تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[3]

ويقول تعالى : ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾[4]

فكلمة «الحق» فى هذه الآيات يراد بها الصدق ، ومن تكرير لفظ الحق فى الآية الأخيرة تأكيد من رب العزة لمنهج الحق والصدق الذى اتسم به قوله وحكمه حتى قال السدى[5] إنه قسم أقسم الله به بدليل الآية التالية التى تعد بمنزلة الجواب لردع الشيطان فى بغيه وعناده ، وكذبه وضلاله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ

(١) سورة الملك/١٤ .
(٢) جزء من الآية/٧٣ الأنعام .
(٣) جزء من الآية/٤ الأحزاب .
(٤) سورة ص/٨٣ .
(٥) راجع تفسير ابن كثير حـ ٤ سورة ص .

مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]

كما قال تعالى : **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾**[2]

وصدق القول الإلهى قضية لا تحتمل الجدل . يتبين هذا من الاستفهام المتضمن للنفى فى الآيتين الكريمتين : **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾**[3] **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾**[4]

وأخبار القرآن وقصصه من حيث ذاتها صادقة ؛ لأنها مطابقة للواقع الثابت .

يقول تعالى عن القصص القرآنى : **﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾**[5] ويقول تعالى : **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾**[6] **﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾**[7] .

ولما كثر الجدل حول عيسى عليه السلام عرض القرآن الكريم قصته عرضا صادقاً . يكشف كل الزيف ، ويضع حدا للمراء حوله ، ثم يقول تعالى فى نهاية الحديث عنه : **﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾**[8]

---

(١) سورة ص/٨٤ .
(٢) سورة الأنعام/٥٧ .
(٣) سورة النساء جزء من الآية/١٢٢ .
(٤) سورة النساء جزء من الآية/٨٧ .
(٥) جزء من الآية/٦٢ آل عمران . وراجع الكهف/١٣ بلفظ (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) .
(٦) جزء من الآية/٢٧ من سورة المائدة .
(٧) سورة البقرة/٦٢ آل عمران/١٠٨ . والجاثية/٦ .
(٨) سورة مريم/٣٤ .

وقد نعى القرآن الكريم على العرب تكذيبهم به مع أنه الصدق بعينه فيما يحكيه من أحداث الماضى ، وما يشير إليه من أحداث المستقبل ، ويمر الزمان فيكشف عما فيه من قيم ، ومعارف وحكم صادقة . فقال تعالى : ﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ . لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾(1) . والقرآن الكريم هنا يبين لهم أن المستقبل كفيل بكشف حقائق الكتاب . وتأكيد صدقه .

والكذب على الله ضلال وحماقة . والكاذب فى هذه الحالة بعيد كل البعد عن الحق وهو أهل للهوان والعذاب يوم الحساب . فيقول تعالى : ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾(2)

والقول الصادق أمانة ، ولا ينبغى أن يتحول عنه الانسان لأى سبب من الأسباب كأن يكون فيه خدش للحياء . ونحوه من المعانى والصفات المستحسنة فى غير هذا المجال . غير أن المسلم مطالب بالتجمل فى صدقه .

وقد علمنا رب العالمين منهجاً نتخذه لنا قدوة ، وهو قوله سبحانه ـ الذى أشرنا إليه فيما مضى ـ لبعض أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وقد أطالوا الجلوس عنده ليلة عرسه بزينب ﴿**إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ**

---

(1) سورة الأنعام/٦٦ - ٦٧ .

(2) سورة الأنعام/٩٣ .

الْحَقِّ﴾ [1]

أى لا حياء فى مواجهة الأمور بصدق .

وليس معنى هذا أن ربنا يطالبنا بالتخلى عن صفة الحياء ، كلا فالحياء من صفات المؤمنين ، كما جاء فى الحديث الشريف : «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» [2] وإنما المراد أن رب العالمين وهو الملك الحق فوق نوازع البشر وأهوائهم فتفضل على نبيه الذى استحى من مواجهة من أطالوا الجلوس وآلموه بأن واجههم باقرار هذا المبدأ العظيم قرآنا يتلى . فكفى نبيه ، وكفى الصادقين من عباده مئونة مواجهة الثقلاء بالقول الصادق ، الذى يكلفهم أحيانا الخروج عن خلق الحياء الذى عرفوه باسلامهم .

وستظل هذه الآية درساً لكل ثقيل ، وحفاظا على حياء المؤمن وتجمله .

والصدق من الصفات التى عرف بها الرسل .

فقد قال تعالى فى وصف اسماعيل عليه السلام : ﴿**وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ اِسْمٰعِيلَ اِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا**﴾ [3]

وفى حديث القرآن الكريم عن موسى عليه السلام ، وهو يواجه فرعون . يقول تعالى : ﴿**حَقِيقٌ عَلَى اَنْ لاَ اَقُولَ عَلَى اللهِ اِلاَّ الْحَقَّ**﴾ [4]

---

(١) سورة الأحزاب/٥٣ .

(٢) رواه البخارى عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى

(٣) سورة مريم/٥٤ .

(٤) جزء من الآية/١٠٥ من سورة الأعراف .

وهذا شأن الرسل جميعاً ، صدق فى البلاغ عن الله دون تجاوز أو تقصير يوضح هذا تماما ذلك الحوار الذى سجله القرآن الكريم بين النبى محمد عليه الصلاة والسلام وقومه ، وقد كانت تزعجهم آيات القرآن الكريم بالحق الذى يخالف ما ألفوه فيطلبون من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يغيره .

يقول تعالى : ﴿وَاِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْاٰنٍ غَيْرِ هذَا اَوْ بَدِّلْهُ قُلْ يَكُونُ لِى اِنْ اُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِى اِنْ اَتَّبِعُ اِلاَّ مَا يُوحَى اِلَىَّ اِنِّى اَخَافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [1]

فالصدق ، والبلاغ الحق الذى التزم به رسول الله ﷺ . شأن الأنبياء قبله نجد هنا أن الله تعالى يأمره أن يخبر الناس بها ، حتى لا يطمع طامع فى تغيير أو تبديل على هواه .

وقد بين الله تبارك وتعالى أن نبيه الكريم لا يكذب ، ولو كذب فان الله تبارك وتعالى لن يتركه ، فيقول تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَابَعْضُ الْاَقَاوِيلِ . لاَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [2]

ولأجل هذا كان الاتهام بالكذب يؤلم النبى عليه الصلاة والسلام أشد الألم حتى إن الله تبارك وتعالى سَرَّى عنه ، وقال له : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَاُوذُوا حَتَّى اَتيهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِنْ نَبَائِ

---

(١) سورة يونس/١٥ .

(٢) سورة الحاقة من ٤٤ ــ ٤٧ .

ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (١)

٩ ـ الحكمة حق :

إذا كان الصدق حقاً ، والعدل حقا ، وما وجب للإنسان على أخيه حقاً فإن الحكمة تعد من أسمى صور الحق ، وأروع مظاهره .

والحكمة تعني القول المحكم السديد ، الذي لا يرى فيه خلل أو اضطراب ، والذي يصيب موضعه بلا زيادة ولا نقصان ، فهو بمثابة الدواء الموصوف بدقة للداء ، يصيب الحقيقة ، ولا يجاوزها ، ولا يعطي فرصة لمتشكك أو مرتاب .

والذي يُعْطى الحكمة إنسان ذو حظ عظيم ؛ إذ تتفتح له أبواب الخير وأسبابه . ولن يؤتاها إلاّ إذا آمن بالله أيمانا صادقاً ، وخالصاً . والتزم منهجه التزاما كاملا ، فهي ثمرة تربوية للاستمساك القوي بدين الله وشريعته .

ومن هنا كانت الحكمة هدفا من أهداف دين الله ، ومهمة من المهام الكبيرة التي كلف بها رسله ، يقول تعالى على لسان إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام : **﴿رَبَّنَا وابْعَثْ فيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾** (٢) ، كما قال تعالى : **﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ**

(١) سورة الأنعام/٣٤ .
(٢) سورة البقرة/١٢٩ .

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]

وإذا قرأنا القرآن الكريم نجد أنه عبر عن الحكمة بلفظ الحق، تأكيدا لكونها إحدى الحقائق الدينية والكونية.

فعبر بلفظ الحق عن حكمة الله تعالى فيما يخلق، وفيما يعمل، ويدبر

فمن أعظم مخلوقات الله خلق السموات والأرض ﴿**لَخَلْقُ السَّموات وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ**﴾[2] وقد خلقها الله بالحق أى بالحكمة، ومن أجل حكمة بالغة.

يقول تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمٰوات والأرضَ بالحَقّ**﴾[3] ﴿**وَهُوَ الَّذى خَلَقَ السَّمٰوات وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾[4] ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰواتَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾[5]

وفى آيات أخرى جاءت العبارة بصورة حاصرة تؤكد أن الحكمة السديدة وراء الخلق المحكم، والابداع العظيم لهذه المخلوقات الكبيرة، وما بينهما من ملايين المخلوقات تزحف وتسعى، وتسبح، وتقفز وتطير.

يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما**

---

(١) سورة آل عمران/٦٤ كما ورد فى السورة نفسها فى شأن عيسى عليه السلام ﴿**ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل**﴾ الآية/٤٨.

(٢) جزء من الآية/٥٧ من سورة غافر.

(٣) جزء من الآية/٣ من النحل، ٤٤ من العنكبوت، ٥ من الزمر، ٣ من التغابن، ٢٢ من الجاثية بزيادة واو (وخلق)

(٤) جزء من الآية/٧٣ الأنعام.

(٥) سورة إبراهيم/١٩.

﴿إلاَّ بِالْحَقِّ﴾[1]

ويقول سبحانه : **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ وما بيْنَهُما لاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ ولكِنَّ أكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[2] كما يقول جل شأنه : **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بيْنَهُمَا باطِلاً﴾**[3]

والمراد بالحق فى هذه الآيات كلها . وفى المواضع التى كررت فيها هو الحكمة . ودليل ذلك مقابلتها باللعب . أو بالعبث . أو بالباطل . كما رأينا فى سياق الآيات السابقة .

والحق وراء خلق الشمس والقمر . ومالهما من منافع كثيرة للناس . توضحها هذه الآية : **﴿هُوَ الَّذى جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً وَالْقَمرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَاخَلَقَ اللهُ ذلكَ إلاَّ بالْحَقِّ﴾**[4]

والحق هنا ليس سوى الحكمة السديدة . والتقدير المحكم الدقيق الذى ينأى بهذه المخلوقات عن العشوائية والعبث .

ونزول الملائكة على البشر قدر مقدور . فليس هو بالأمر المتروك للأهواء الضالة . ولأجل هذا عندما اتهمت قريش رسولها الذى جاءها بالذكر من عند ربهم . ووصفوه بالجنون . وطلبوا منه أن يأتيهم بملائكة تنزل من السماء . تشهد له كان الجواب من عند

---

(١) سورة الحجر/٨٥ . والروم/٨ . والدخان/٣٩ . والأحقاف/٢ مع اختلاف يسير فى اللفظ (ما خلقنا ـ ما خلق الله) .

(٢) سورة الدخان/٣٨ . ٣٩ .

(٣) سورة ص/٣٧ .

(٤) جزء من الآية٥ من سورة يونس .

الله : ﴿**مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلِئكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ**﴾[1] أى لو أن الله أجابهم إلى ما أرادوا . وأنزل ملائكة ما أمهلهم لحظة بعد تكذيبهم .

وقد أسلفنا حديثا عن ارتباط القرآن بالحق فى قضية نزوله ، وقد أوضحنا هذا الارتباط بأنه دفع للشّبه التى طرحها المتشككون فى قضية نزول القرآن من عند الله ، سواء أكان هؤلاء المتشككون من القدماء ، وكان منهم كثيرون أم من المحدثين ، ولا يزالون يرمون بكل جديد من إفكهم ومفترياتهم .

ويمكن تفسير الحق المرتبط بنزول القرآن الكريم بأنه الحكمة المصاحبة والملابسة لكل ما ورد فيه من خبر أو موعظة ، أو تحذير ، أو تبشير . أو تشريع . وهذا التفسير يتبادر إلى الذهن عندما نقرأ هذه الآية : ﴿**أَفَغَيْرَ ٱللهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ ٱلْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ**﴾[2]

فالآية هنا تبين أنه لا ينبغى التماس حكم غير رب العالمين ، أحكم الحاكمين ، الذى أنزل كتابا فصّل فيه العلاج لكل داء يُلِم بالمجتمع البشرى . والذى نزل عليهم الكتاب أول من يعرف ما فيه من بلاغة وحكمة وإحكام .

بقى أن نشير إلى تفسير «للحكمة» التى جاءت معطوفة على الكتاب فى رسالات الرسل التى أشارت إليها الآيات التى ذكرناها

---

(١) سورة الحجر/٨ .

(٢) سورة الأنعام/١١٤ .

آنفاً . قال بعض المفسرين والفقهاء : إن الحكمة[1] هى السنة النبوية . وهذا فهم له ما يسوغه بالنسبة للآيات التى تتحدث عن رسالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام ؛ لأن سنته وهى التطبيق الرشيد والسديد للقرآن الكريم تعقد قمة الحكمة . والذى يحسن التطبيق ، ويقدم بعمله القدوة والأسوة حكيم أى حكيم .

وعلى هذا النحو أيضاً يمكن أن نفسر الحكمة التى جاءت فى الحديث عن رسالة عيسى عليه السلام . وأنها تعنى التطبيق الحكيم لما شرعه الله له .

وإذا كانت الحكمة هى السنة النبوية فماذاك إلاّ لأن السنة حق لا ريب فيه .

وإذا بحثنا عن الحكمة وراء خلق البشر ، أو عن الحق وراء خلق البشر ـ وكل ما خلقه الله وراءه حق أو حكمة . وجدنا أن العبودية لله تعالى التى ينتظم فى إطارها كل علاقة قويمة تربط الإنسان بالحياة والأحياء . قال تعالى : **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والْإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾**[2]

ولأن الحكمة من أبرز مظاهر الحق كانت وراء كل ما خلق الله ، وما حكم به . وما قدر فإنه ينبغى من ناحية أخرى أن تكون وراء سلوك المؤمن بحكم اهتدائه بمنهج الحكيم الخبير . وافتقادها فى سلوكه يعنى انحرافا بينا فى عقيدته ، وفى ارتباطه بربه .

فمرتكبو الذنوب الكبيرة ، ومقترفوا الجرائم العظيمة بعدوا عن

(١) رجع تفسير الكشاف . والقرطبى وابن كثير .
(٢) سورة الذاريات ٥٦ . ٥٧ .

الحق . وضلوا طريق الحكمة ، وليس وراء تصرفهم هذا حجة مقبولة ، أو سبب مستساغ . ولو تتبعنا ما جاء فى القرآن الكريم عن مثل هؤلاء الناس لأدركنا من أول الأمر أنهم قوم بلا حق ولا حكمة .

وهذه صور قدمها لنا الكتاب العزيز .

(أ) بنو إسرائيل وقتل الأنبياء :

الأنبياء اختارهم الله واصطفاهم ليكونوا أئمة يهدون الناس بأمر الله . ويقودونهم إلى كل خير فى هذه الحياة . فلهم فى النفوس مهابة ، وفى القلوب مكانة . فعندما يفكر انسان من الناس فى قتل النبى ، فمعنى هذا أن قلبه أجدب من الإيمان ، وتقلص منه نور الهداية وأصبح كالحجارة بل أشد قسوة ، وسار بينه وبين الحق بون شاسع . تغلب على طبعه الحماقة أكثر من الحكمة . وهو للكفر والعصيان أدنى منه إلى الطاعة والإحسان .

ولقد تورط بنو إسرائيل فى هذا الجرم . وتحدث القرآن الكريم عنهم بهذا فى أكثر من موضع ، يقول تعالى : ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ (١)

ويقول تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ**

(١) سورة البقرة/٦١ .

أليم﴾[1]

ويقول تعالى : ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[2]

ونلاحظ فى الحديث عنهم أن جرمهم هذا قد اقترن بالكفر بآيات الله .

(ب) الاستكبار :

من الآفات الخلقية التى يضل صاحبها طريق الحق . ومنهج الحكمة . ويقدم على تصرفات طائشة . وأعمال حمقاء لا تجد لها سببا يجيزها . وتحس هذا من حديث القرآن الكريم عن المستكبرين . وأعمالهم الضالة .

يحدثنا القرآن الكريم عن قبيلة « عاد » التى كانت تسكن الأحقاف جنوب شرقيّ الجزيرة العربية . وقد مكن الله لهم فى الأرض . فردوا على النعمة بالاستكبار . فكانوا إلى الحمق أدنى منهم إلى الحكمة والرشد . فيقول تعالى : ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾[3]

وسار على منهج الاستكبار فرعون معتزا بجنده وملكه . وقال لقومه : ﴿ما علمت لكم من إله غيرى﴾[4] وطلب من كبير أعوانه

---

(1) سورة آل عمران/٢١ .
(2) سورة آل عمران/١١٢ .
(3) سورة فصلت ١٥ .
(4) جزء من الآية/٣٨ من سورة القصص .

أن يصنع له صرحا يطلع منه إلى إله موسى . هذا التصور الفرعونى الذى تحس منه الرعونة أكثر من الاتزان صدر بسببه الحكم على فرعون بالبعد عن الحق والحكمة ، فيقول تعالى : ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [1]

وآفة الاستكبار ، تكلف صاحبها شططا ؛ إذ هى نشأت عن حماقة ضالة . وعقوبتها لصاحبها تتمثل فى تخبطه ، فهو بعيد عن الرشد ، قريب من الغى ، قليل الاعتبار بما يمر به من آيات ومواعظ . يقول تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [2]

وأما يوم القيامة فلهؤلاء المستكبرين عذاب مهين ؛ إذ يقول تعالى : ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [3]

وكل من يستخفهم الطرب ، ويدفعهم الفرح إلى الكبرياء والبطر يلقون هذا المصير يوم القيامة ، ويقال لهم : ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [4]

ولا شك أنهم بتصرفهم الأحمق ، ومصيرهم الأسوأ كانوا

(١) سورة القصص/٣٩ .
(٢) سورة الأعراف/١٤٦ .
(٣) سورة الأحقاف/٢٠ .
(٤) سورة غافر/٧٥ .

بعيدين عن نهج الحق ، وخطة الحكمة والرشد .

(حـ) البغى :

والبغى نزعة آثمة ، ونزوة ضالة ، ينحرف الإنسان معها عن الحق ، ويتجاوز حد العرف ، فلا يرعى حرمة ، ولا يحترم شِرْعة ، ومن هنا كان البغى من بين الصور التى يبعد معها صاحبها عن الحق والحكمة . وحديث القرآن الكريم عمن يبغون يكشف عن هذه الأمور .

فى سورة الأعراف نرى البغى بغير الحق - وكل بغى بعيد عن الحق - من بين المحرمات التى حذر الله تعالى منها . قال تعالى : **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (١)

لقد عُدّ البغى هنا بين كبار المحرمات ، وهذا كاف فى الكشف عن شطط الباغى ، وسفاهة تصرفه .

ويحدثنا القرآن الكريم عمن عرفوا ربهم فى الضراء ، فلما كشفها الله عنهم ، عادوا إلى البغى ، وتجاوزوا الحق ، وركبوا متن الشطط ، وعادوا إلى سذاجة حمقهم يقول تعالى : **﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾** (٢)

---

(١) سورة الأعراف/٣٣ .

(٢) جزء من الآية/٢٣ سورة يونس .

والبغاة كالظالمين يتحملون مسئولية بغيهم ، ويلقون نفس مصيرهم لأن كليهما جاوز الحق ، وجانبه السداد ، يقول تعالى : **﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾**[1]

(د) قتل النفس :

جريمة منكرة ، وشر ما ارتكب على وجه الأرض ، لقد صور القرآن الكريم فظاعتها ونكرها إذا وقعت بغيا وظلما فى غيبة الحق والحكمة ، يقول تعالى : **﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾**[2] فالفرد إذن تجاوز ببغيه الفرد الذى قتله إلى المجتمع الذى أظله .

ويقول تعالى : **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾**[3] .

وبناء على هذا فالإقدام على القتل من جانب المؤمن لابد أن يكون له مسوغ كبير ، وسبب عظيم ، ولا يوجد فى الدنيا كلها سبب يسوغ القتل إلا قصاصا ، أو من أجل الخروج على الجماعة ، وما عدا ذلك فللدم حرمة بالغة فى الإسلام .

ودليل هذه الحرمة أنه فى القصاص يعطى ولى الدم سلطانا ،

---

(١) سورة الشورى/٤٢ .

(٢) جزء من الآية/٣٢ من سورة المائدة .

(٣) سورة النساء/٩٣ .

يطالب بموجبه ولى أمر المسلمين بقتل القاتل ، وعندما يقتص منه يكون القتل حينذاك بالحق . يقول تعالى : ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾[1] كما قال تعالى فى وصف عباد الرحمن ﴿**وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾[2] .

١٠ ـ الحق ... التام الكامل :

ومن الصور التى استخدم فيها لفظ « الحق » استخداما حكميا لغويا . وقرآنيا أن يطلق على كل شىء أوفى على الغاية ، واستوفى عناصر التمام والاكتمال .

وكأن الشىء الموسوم بالحق فى هذه الحالة بلغ غايته ، وأخذ حقه ، ولم ينقصه صاحبه شيئا ، ويرد هذا المعنى فى كل استعمال يضاف فيه لفظ « حق » إلى مصدر الفعل قبله .

وجاء هذا الاستخدام فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ، تتصل بالله ، أو بدعوته الحقه ، أو بكتابه ، أو بالجهاد فى سبيله ، أو بالعبودية الخالصة لوجهه .

وحقها فى أن تؤدى تامة كاملة خالصة

وسنشير بإيجاز إلى هذه المواضع :

١ ـ الملك الحق :

نرى الناس فى الدنيا يمنحهم الله شيئا من الملك فيملكون ،

---

(١) جزء من الآية/١٥١ الأنعام . ٣٣ من الإسراء .

(٢) جزء من الآية/٦٨ من سورة الفرقان .

وينزع من آخرين الملك فإذا هم منه مجردون ، معنى هذا أن ملك الإنسان فى الدنيا عرض زائل والملك الحق لله وحده ؛ لأنه الذى يمنح ويمنع .

حتى إذا كان يوم القيامة يأتى الناس فرادى ، كما خلقهم الله أول مرة ، وقد تركوا وراء ظهورهم ما خوّلهم من مال أو جاه ، ويبقى الملك تاما كاملا لرب الوجود ﴿**لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ**﴾[1] ولأجل هذا وصف الله تعالى ملكه فى هذا اليوم بلفظ « الحق » الذى يعنى الكمال والتمام ، بعيدا عن شبهة الملكية لمخلوق ، مهما كان قدره ولذا قال تعالى : ﴿**ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسِيرًا**﴾[2] .

٢ ـ دعوة الحق :

يقول الله تعالى : ﴿**له دعوة الحق**﴾ وقد أسلفنا الوجهين اللذين قيلا فيها وهما : الدعاء الصحيح يجب أن يتجه لله ، والدعوة إلى الحقائق الثابتة التى لا ريب فيها ينبغى أن تصدر عن الله ، ونضيف هنا أنه فى كلا الحالين فيها معنى التمام والاكتمال سواء أكانت دعاء خالصا لله أم كانت دعوة صادقة فى سبيل الله .

٣ ـ التلاوة الحقة :

القرآن الكريم يتلوه التالون ، ومنهم من لا تتجاوز الكلمات فمه ،

---

(١) سورة غافر/جزء من الآية/١٦

(٢) سورة الفرقان/٢٦ .

فلا وعى . ولا فهم ولا إدراك صحيحا . ولا تقدير لمسئولية القراءة وما تستتبعه من التزام بما تقرأ . فتخرج الألفاظ من اللسان دون أن تمر على القلب فلا تبلغ من السامعين أكثر من الآذان .

أما التلاوة الصحيحة فلها حق : بأن يتدبر القارئ ، ويتأمل ، ويعى ، ويعقل ، ويفتح للآيات قلبه . ويمزق ما يقف دونها من أستار الجهل والغفلة . والتعصب . والتقليد . ومثل هذه التلاوة وصف رب العالمين أصحابها فقال فيهم : ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾[1] .

٤ ـ الجهاد الحق :

البذل والتضحية على اختلاف درجاتهما حق لله سبحانه وتعالى وحده . وهما ثمرة الإيمان وبرهان صدقه ، وإذا أقدم عليهما المؤمن يدفعه إيمان سليم كان جهاده حينئذ مكتملا . مستوفيا حقه من التفانى والإخلاص ، جديرا بأن يحقق غايته من الإعزاز والانتصار فى داخل النفس . وفى محيط المجتمع المسلم . وفى اللقاء الدامى مع أعداء الله .

يقول الله تبارك وتعالى يدعو إلى هذا النوع من الجهاد : ﴿**وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[2] .

---

(١) جزء من الآية/١٢١ سورة البقرة

(٢) جزء من الآية ٧٨ سورة الحج

٥ ـ التقوى الحقة :

والتقوى أرفع درجات الإيمان . وهى تعنى أن يأخذ المؤمن نفسه بكل أسباب الوقاية من آفات الحياة وأدوائها ، مراقبة لله ، وابتغاء رضاه وينبغى لهذا أن تكون مكتملة فى أسبابها ووسائلها ، خالصة لله تعالى ، ولأجل ها داا الله المؤمنين إليها قال : **﴿يَآءَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**(١) .

٦ ـ ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ :

وردت هذه الآية فى ثلاث مواضع من كتاب رب العالمين ، وهى فى هذه المواضع الثلاثة تكشف عن سوء فهم المشركين الذى أوقعهم فى جريمة الشرك . فهم لم يعرفوا قدر الله ، ولم يدركوا حق جلاله وكماله ، تصوروه بعيدا فالتمسوا له الواسطة ، وظنوه قاسيا عنيفاً جائرًا فالتمسوا له الشفعاء . يقول تعالى : **﴿يَآءَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾**(٢) .

ويقول تعالى : **﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾** ثم تستمر الآيات فى تحذير النبى ﷺ من الشرك ، وحثه على العبادة الخالصة إلى أن يقول تبارك وتعالى ، كاشفا سِرَّ وقوعهم فى الشرك :

---

(١) سورة آل عمران/١٠٢ .

(٢) سورة الحج/٧٣ ـ ٧٤ .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[1] .

وفهم بعض المشركين خطأ . وفيهم من أهل الكتاب أن إنكار الوحى فيه تعظيم لله . فرد عليهم القرآن الكريم بأنه تعظيم ناقص ؛ إذ قال : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[2] .

٧ ـ الرهبانية وحقها :

جعل الله تعالى فى تلامذة عيسى عليه السلام وحوارييه رأفة ، ورحمة ، واتجهوا إلى الترهب والعزوف عن الدنيا إمعانا فى الرغبة فيما عند الله ، وزهدا فى مفاسد الحياة وترفها ، وما تحفل به من صراع وخصومات ، لا سيما على ضوء تجربتهم مع اليهود .

ولم يكتب الله عليهم هذا الترهب ، وإنما هو من مبتدعاتهم .

أمرهم الله فقط بعبادات تخلص القلب إلى الله ، وتطهره من رذائل الحياة ، فلم يعرفوا لهذا الترهب حقه . ولم يرعوه حق رعايته ، وذلك بشططهم . وتحويلهم العبادة إلى سلبية قاتلة ؛ إذ يغرق المجتمع من حولهم فى الضلال ، وهم فى عبادتهم التى استحسنوها مشغولون . أو أنهم قصروا فى أصول العبادة ،

---

(١) سورة الزمر/٦٤ ـ ٦٧ .

(٢) سورة الأنعام/٩١ .

فوما ينبغى لها فلم يدركوا ما أمرهم الله بها ، ولم يصلوا إلى ما الزموا به أنفسهم .

يقول ربنا تبارك وعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ[1] بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2] .

يقول ابن كثير : (فما رعوها ح رعايتها) أى فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين : أحدهما : الابتداع فى دين الله والثانى : فى عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز وجل »[4] .

والرهبانية ليست منهجا مرضيا فى دين الله ، وإن نجا عن طريقها بعض النصارى قبل البعثة المحمدية ، وقد روى أن رسول الله ﷺ قال : « **لكل بنى رهبانية . ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله عز وجل** »[5] ولم تكن رهبانية الأنبياء سوى إمعان فى الدعوة ، ونشر الدين الحق .

حقائق فى القرآن :

ومع هذه السياحة التى أوغلنا فيها فى أعماق الكتاب العزيز ،

---

(١) الضمير هنا يعود على نوح وإبراهيم فى الآية السابقة وهى قوله تعالى : ﴿**ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم**﴾ .

(٢) سورة الحديد/٢٧ .

(٣) راجع تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣١٥

(٤) رواه الإمام أحمد عن إياس بن مالك .

وطفنا بأنحائه ، وتتبعنا لفظ « الحق » واستخداماته فيه نرى أنفسنا قد عرضنا لكثير من الحقائق التى قدمها القرآن للبشر . وهى فى الوقت نفسه أصول التكوين العقدى فى الإسلام مما يجعلنا نزداد يقينا بتلاقى طرفى القضية تماما .. الإسلام ... دعوة الحق .

أولها ، وأسماها :

الله هو الحق . ووجوده الحقيقة التى لا توجد ثمة حقيقة أثبت منها . بل إن الحق لا يأخذ هذا المسمى إلا إذا كان صادرا عنه . أو على صلة به .

يتأكد أنه الحق بوحدانيته . وتجرده . وأنه الحى القيوم الذى يمنح الحياة لكل حى ، وباستمرار الكائنات على قوانين محكمة ، وسنن لا تتخلف ﴿**لاَ ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا اَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[1] .

والرسل حق :

منهم من قص الله خبرهم . ومنهم من لم يقصص الله علينا سيرهم ، وجاءوا مزودين بآيات الله التى تثبت أمام المعاندين الجاحدين صدقهم ، وأنهم جاءوا بالحق من ربهم ، وليزداد الذين آمنوا إيمانا .

والكتب السماوية حق :

جاء بها الرسل من عند الله تحمل شريعة الله . وحكمه . وقد

(١) سورة يس/٤٠ .

نزل بها الوحي من عند الله على رسله على إحدى الصور التي عرضتها الآية : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[1] .

وهذه الكتب التي نزلت تباعا . يؤيد كل كتاب منها سابقه ، ويصدقه حتى جاء القرآن الكريم الذي اتصف بالحق في نزوله ، وفي أسلوب وصوله ، وفي طريقة تناقله وفي جوهره ، وموضوعه ومحتواه . فكان مصدقا لما سبقه . كما كان مهيمنا عليه يكشف الزيف ، وينفي كل دخيل . وهذا مهمة حدثنا عنها رب العالمين فقال : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] .

واليوم الآخر حق :

وقد عرفنا من بين الحقائق القرآنية التي كشف عنها تتبعنا للفظ الحق في القرآن « اليوم الآخر » وما يتصل به ويقع فيه من مشاهد وأحداث مثل : الموت ، والنفخ في الصور ، والبعث ، والحشر . والصراط ، والميزان ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وقد تأكدت هذه الحقائق كلها في القرآن الكريم ، واقترن الحديث عنها بلفظ « الحق » .

والملائكة حق :

وهم عباد مكرمون . لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

---

(١) سورة الشورى/٥١ .
(٢) سورة النمل/٧٦ ، ٧٧ .

ما يؤمرون ، لا تتصور منهم المعصية ، فهم كالقوانين الثابتة ، المنفذة لحكم الله وقضائه . منهم الروح الأمين الذى ينزل بالوحى على الرسل ، ومنهم ملك الموت الموكل بالوفاة ، ومنهم الحفظة ، وفيهم الكرام الكاتبون .

وهذه هى الصورة الحقة التى عرضها القرآن الكريم للملائكة ، وتناولتها السنة الصحيحة ، والإيمان بهم عنصر من عناصر العقيدة الإسلامية ؛ ولذا يقول تعالى : ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بعيداً**﴾[1] .

وقد تصور بعض العرب قبل البعثة تصورا خاطئا أن الملائكة بنات الله ، وأنهم يتحركون حسب أهواء البشر ، أو رغبات الرسل ، وإنما تحركهم بقانون ثابت ، ونظام محكم لا يتخلف ، سماه القرآن « الحق » فقال تعالى : ﴿**وَقَالُوا يَاۤأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ . لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلٰئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . مَا نُنَزِّلُ الْمَلَٰئِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ**﴾[2] .

والقدر والقضاء حق :

وهما من الحقائق القرآنية التى ينبغى أن تستقر فى وجدان المؤمن وعقله .

يقول تعالى : ﴿**إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[3] ﴿**قَدْ جَعَلَ اللهُ**

(١) سورة النساء جزء من الآية ١٣٦
(٢) سورة الحجر ٦ ـ ٨ .
(٣) سورة القمر/٤٩ .

لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْراً﴾ [1] ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [2] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [3] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [4] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [5] .

والقدر قياس الأمور بدقة وإحكام قبل إنجازها ، ليتحقق منها بعد الإنجاز ما تقتضيه حكمة الحكيم الخبير .

وهذا يؤكد نفى الصدفة ، والعشوائية فى هذا الوجود ، وفى حركته نفيا قاطعا .

والقضاء هو إنجاز الله تعالى ، وتنفيذه لما قدره .

والقدر والقضاء كلاهما لله ، ومن هنا كان الإيمان بهما واجبا .

ويدخل فى دائرة القضاء والقدر السنن الكونية ، والأسباب والمسببات ، ونحوهما من القوانين الثابتة التى يدركها الإنسان بحواسه ، أو بعقله ؛ إذ هى حكم الله وحكمته ، والتسليم بها والسير على مقتضاها إيمان لابد منه .

وقد تتعارض الأقدار كالمرض والدواء ، والصحة والوقاية ، فكل منها قدر ، فإذا قدر الله المرض ، فقد رفعه بقدر آخر ، وهو ضرورة التداوى ، وإذا قدر الله علينا أسباب الداء ، وتفشى الوباء

---

(١) سورة الطلاق/٣ .
(٢) سورة الأحزاب/٣٨ .
(٣) سورة الحجر/٦٦ .
(٤) سورة غافر/٧٨ .
(٥) سورة سبأ/١٤ .

فقد رفعه بقدر آخر هو الوقاية كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للصحابى الذى سأله وقد قرر عدم دخول عمواس بعد تفشى الطاعون : أتفر من قدر الله ؟ قال : نفر من قدر الله إلى قدر الله[1] » .

وما يقضى به الله على الإنسان . ويقدره له من أحكام وشرائع فالإنسان ملزم بالإيمان به . والثقة فى نفعه وفضله ، والإقدام على تنفيذه .

وأى تخلف فى أى ناحية من هذه النواحى الثلاث يعنى أن الإيمان غير وثيق .

يقول الله تعالى : ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾ ... الآيات حتى قوله تعالى : ﴿**كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**﴾[2] .

وما يقضى به الله على الإنسان ، ويقدره عليه ، مما هو فوق الأسباب والمسببات . وخارج عن طاقاتهم ، ومما لا يدركون حكمته يجب الإذعان له ، والتسليم به بلا مناقشة ؛ لأنه الابتلاء الذى قدره الله ، وقضى به . يقول تعالى : ﴿**مَآ أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلاَ فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَآ آتَاكُمْ**

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى عن عبد الرحمن بن عوف . وستأتى تفصيلات الموضوع فى القضية السادسة

(٢) سورة الإسراء من ٢٣ ـ ٣٨ .

وَٱللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1] .

ويقول تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَٱللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] .

وهذا الابتلاء المحتوم قدر المؤمن فى هذه الدنيا . تمحيصا ليقينه . واختبارا لثقته وصدقه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾[3] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ﴾[4] .

والقضاء والقدر متلازمان . فما يقدره الله لابد من نفاذه . ولا يمكن ـ وهو الحكيم ـ أن يقضى إلا بما قدره .

هذا إذا عددناهما لفظين مختلفين .

وإذا تتبعنا الأسلوب القرآنى نجد أن لفظ القضاء استخدام بمعنى القدر فيقول تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[5] والمعنى قدر الأجل وحدده . ويقول تعالى : ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَى عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾[6] أى قدر الموت عليها .

هذه هى صور القدر والقضاء التى ينبغى أن تكون عنصرا فى

---

(1) سورة الحديد/٢٢ ، ٢٣ .
(2) سورة التغابن/١١ .
(3) سورة محمد/٣١ .
(4) سورة العنكبوت/٢ ، ٣ .
(5) سورة الأنعام/٢ .
(6) جزء من الآية/٤٢ من سورة الزمر

إيمان المؤمنين .

الأخلاق والقيم ... حقائق قرآنية :

ومن تتبعنا للفظ « الحق » فى القرآن الكريم نجد أنه فى إطار هذه الكلمة قدم لنا مجموعة من الأنماط الخلقية ، والقيم الثابتة باعتبارها حقائق راسخة لم يختلف البشر فى أى عصر من العصور فى أصلها ، وإن تباينت وجهات أنظارهم فى تفسيرها ، وتطبيقها ، لكنها فى البيان القرآنى صريحة ، واضحة ، تهدى ، وترشد ، منها ـ كما أسلفنا ـ العدل ، والصدق ، والعلم ، والحكمة ، والحقوق ، والواجبات التى تنظم علاقة الناس بعضهم ببعض .

ولكى ينتفع المجتمع الإنسانى بها لابد أن يسير على نهج القرآن الكريم فى تجسيدها ، وتحديد معالمها ، وأنماط تنفيذها ، وأن نقتدى بالرسول ﷺ فى أخذه بها ، وتحويله إياها إلى نماذج حية ، صالحة للاتباع .

مقاييس الحق فى التصور الإسلامى
ومن خلال الدراسة القرآنية

ونحن إذ نختتم هذه الجولة القرآنية مع كلمة « الحق » التى تناولنا فيها خلاصة الحقائق التى قدمها رب العالمين لعباده ، ليعرفوها ، ويؤمنوا بها ، ويستمسكوا بهداها فيعزوا ويسودوا فإننا بعد هذا نعود إلى ما تحدثنا عنه من مقاييس الحق .

أيمكننا على ضوء ما سبق أن نضع مقاييس للحق ؟ وإلى أى مدى تختلف أو تتفق مع المقاييس التى وضعها فلاسفة البشر ؟ ! !

وهنا أضع عدة ملاحظ هامة :

أولها : قضية الحق فى الإسلام ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية الإيمان ، وأعنى بالإيمان الإيمان الذى لم يلبسه ظلم ، والذى خلص تماما من ظواهر الشرك . ذلك أن الإنسان إذا آمن بالله صادقا ومخلصا نبتت فى أعماقه بذور الثقة فى خالقه ومولاه الذى آمن به .

وعند ذاك ارتبط الحق عنده بالله . كما علمه القرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [1] .

وهو فى هذه الحالة فى غير حاجة إلى مقاييس .

فقول الله هو الحق ، وتشريعه هو الحق ، وكتبه حق ، ورسله

---

(١) سورة الحج/٦٢ .

حق ، وكذا تتوالى على يقينه الحقائق التى أسلفناها .

وهذا هو المستوى المطلوب للإيمان بالله بأن يصل المؤمن إلى يقين بربه ، لا يحتاج معه إلى مقاييس للأشياء التى تحيط به ، وللأفكار التى تمر بخاطره ، ليأخذ منها أو يدع .

وقد حدثتنا سورة الأحزاب عن هذا المستوى المطلوب للإيمان الصحيح ، فيقول تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾** [1] .

ولأجل ما يصل اليه قلب المؤمن فى ظلال الإيمان احق من استقامة على نهج الحق فى غير انحراف ولا التواء نصحنا النبى عليه الصلاة والسلام بأن نستفتيه فى قضية الحلال والحرام ، فقال ﷺ : « **البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى الصدر . وخفت أن يطلع عليه غيرك وإن أفتاك الناس وأفتوك** » [2] .

كما يحذر ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا القلب المستقيم على الحق من السير على درب الشبهات والريب استبقاء لإيمانه ويقينه ، وحفاظا على دينه وعرضه . فيقول : « **الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى**

---

(١) سورة الأحزاب/٣٦ .

(٢) ورد فى مسندى الإمامين أحمد بن حنبل والدارمى عن وابصة بن معبد .

الله فى أرضه محارمه . ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب»[1] .

كما يقول ﷺ : «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[2] .

ثانيها : الثبات الذى لا ينقض . والوجوب الذى لا يتخلف ، والمطابقة للواقع المدرك والمشاهد المحس . والصدق الذى لا يشوبه كذب ، والعدل الذى لا يعرف جورا ، والعلم الذى ينأى بالإنسان عن الجهل ، والخير الذى يعصم من الشر ، والحقوق الملزمة التى يلتزم بها الإنسان فى دائرة المجتمع الإنسانى .

كل هذه خصائص للحق فى الإسلام . ولن تتحقق قضية الحق بدونها ، أو مادام الإنسان بمعزل عنها .

ثالثها : المعرفة الإنسانية وهى جوهر قضية الحق .

من الفلاسفة من قالوا : إن طريقها الحس ، فالحق عندهم هو المُحَسّ ، المشاهد ، وما وراءه خرافة ، وقد سار على هذا النهج الماديون جميعا من وجوديين . وطبيعيين ، وماركسيين ، ومن كانوا يسمون قديما بالدهريين . الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله : **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾**[3] .

ومنهم من ذهب إلى أن طريقها العقل . فما يدركه العقل ويراه

---

(١) أخرجه البخارى من حديث النعمن بن بشير رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح عن أبى محمد الحسن ابن على رضى الله عنهما .

(٣) سورة الجاثية/جزء من الآية ٢٤

فهو الحق .

وسار على هذا النهج فلاسفة اليونان مثل سقراط وأفلاطون ، وأرسطو ، وحذا حذوهم من فلاسفة المسلمين : الكندى ، والفارابى ، وابن سينا فى الشرق . وفى الغرب (الأندلس) ابن رشد ، وابن باجه وابن طفيل .

وارتضى هذا المنهج مع شىء من التقويم والاعتدال ، والاهتمام بالشرع ، أصحاب الفكر الاعتزالى .

وتسميتهم بهذا الاسم لا صلة له بمذهبهم ، وإنما أطلق الاسم عليهم لملابسة تاريخية معروفة هى اعتزال واصل بن عطاء لمجلس أبى الحسن الأشعرى ، بعد أن اختلف معه فى مسائل فاعتزل حلقته فى مسجد البصرة لأجلها ، فقال أبو الحسن حينذاك : اعتزلنا واصل » فسمى هو وجماعته بالمعتزلة[1] .

وذهب آخرون إلى أن طريق المعرفة هو الشرع ... وهذا حق ، وإن كان فكرهم لم يخلص من التأثر بالفلسفة .

لكن الذى نقوله ونقرره أن طريق المعرفة الصحيح ، والعلم النافع هو الشرع .

ومن الخلط أن نسوق هذا الاتجاه فى مواجهة الاتجاهين السابقين ؛ لأننا عندما نقول : إن طريق المعرفة هو ما شرعه الله ، وبذا يصبح كل ما جاء فى القرآن الكريم حقا كله لا نعنى إلغاء الحس أو العقل ؛ إذ أن طريق الشرع يستوعب هذه الطرق كلها .

---

(١) الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى جـ ١ د . محمد البهى وراجع وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٥ ص ٦١

والمعتزلة فى دائرة الإسلام وشريعته غلبوا الطريق العقلى تغليبا تعطلت معه بعض النصوص بل كثرة منها ، فأسرفوا من هذه الناحية ، وبغوا ، ومحنة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه دليل على هذا البغى ؛ إذ أرادوا أن يلزموه بقضية عقلية هى القول بأن القرآن مخلوق ، وهذا يصطدم مع كثير من النصوص ، فرفض وعذب فصبر.

ولكنهم ـ إنصافا للحقيقة ـ وبرغم بغى بعض الخلفاء الذى أيدوا الاعتزال ، وفتنوا بمناهجه العقلية مثل المأمون فإنهم أدوا دورا فى الدفاع عن الإسلام فى مواجهة الملاحدة ، الذين لا يعرفون إلا المنهج المادى ، وإن كان هذا لا يرد عنهم ما وقعوا فيه من شطط بالغ [1] ، وجنوح واضح ، عن النهج السوى للعقيدة الإسلامية .

فالشرع الإسلامى اهتم بالحواس ، والمدركات الحسية عندما أمرنا بالاتجاه إلى الواقع ، واحترام القضايا البديهية ، المشاهدة فى هذا الوجود ، وعندما أكد لنا أن السمع والبصر سنسأل عنها يوم القيامة .

كما رأينا من بين الحقائق التى أوردها القرآن : الأمر الواقع ، الثابت المشاهد ، ومثل هذا الحق تدركه الحواس ، وكثير من الحقوق تدركها الحواس ، لكن الوقوف عند الحس وحده خطأ كبير ؛ لأن الحواس قد تخطئ ، وقد تُخْدع ، ويلتبس عليها الأمر ، وعند ذاك توصل إلى باطل ، وتحول بين الإنسان والحق الواضح .

---

(١) راجع الكامل للمبرد فى حديثه عن واصل بن عطاء ، وراجع البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٤ وراجع تمهيد تاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبد الرازق .

فلابد مع الحس من العقل

والعقل فى الإسلام له مكانة كبيرة . فهو مناط التكليف ، وهو أساس تكريم الإنسان ، كما نجد أن الحقائق الكبيرة والعظيمة التى يقدمها القرآن الكريم يحتكم فيها إلى العقل ، ويعرضها عليه ، ويستحثه على إدراكها . ويؤكد أن إلغاء العقل يودى بصاحبه إلى جنهم ، قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ**﴾[1] .

وهذه إحصاءات من واقع القرآن الكريم تكشف عن مدى اهتمام الإسلام بالعقل إذ نجد أن كلمة « العقل » بمشتقاتها الكثيرة المتنوعة قد وردت فى تسعة وأربعين موضعا من القرآن الكريم .

وأولو الألباب وهم أصحاب العقول تحدث عنهم الكتاب العزيز فى ستة عشر موضعا . وكلها تتصل بالعقيدة ، وضرورة إخلاصها لله ، وتجريدها من مظاهر الشرك ، وكذا فى الأستمساك بشريعة الله ، والعمل بقانونه .

وأولو الأبصار ، وهم العقلاء أيضا تحدث عنهم القرآن الكريم فى سبعة عشر موضعا[2] .

والعقل الذى يقول عليه القرآن الكريم هو العقل الواعى ، الذى خلع أردية التعصب والتقليد ، واستضاء بنور الفطرة الهادية ، واكتسب صدق التصور من عقيدة التوحيد ؛ فإن هذا

---

(١) سورة الملك/١١ .

(٢) رجعنا فى هذه الإحصاءات إلى معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ـ إصدار مجمع اللغة العربية ـ القاهرة .

العقل فى إخلاصه ، وبعده عن الهوى ، وعن التأثر برأى الآخرين كفيل مع الحس الصادق أن يدرك الحق من عند الله .

فالتماس المعرفة من الشرع ، سعيا وراء الحق ، يفرض علينا استخدام ما وهبنا الله إياه من حسٍّ صادق ، وعقل واع .

وقد أكد الإمام تقى الدين أبو العباس بن تيمية هذه الحقيقة فى كتاب « درء تعارض النقل مع العقل » .

وإذا قلنا : الشرع ، فالمعنىُّ بالشرع أمران :

أولها : كتاب الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه .

والثانى : السنة الصحيحة التى هى فى جوهرها تطبيق للقرآن الكريم ، فالنبى عليه الصلاة والسلام بسنته الشريفة كان قرآنا يمشى على الأرض ، أو على حد عبارة السيدة عائشة رضى الله عنها « كان خلقه القرآن »[1] .

وقد نصحنا ربنا تبارك وتعالى باتباع النبى عليه الصلاة والسلام ، وزكاه وجعل الخير فى الاقتداء به .وبين لنا أن طاعته من طاعة الله ، فقال تعالى : ﴿مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ

---

(١) هو قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٦ ص ٥١ ورواه الحاكم فى المستدرك جـ ٢ ص ٤٩٩ مختصر وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخيْن ولم يخرجان انظر زاد مسير جـ ٨ ص ٢٩ .

(٢) سورة النساء الآية/٨٠ .

وَٱلْيَوْمَ ٱلْاٰخِرَ﴾[1] **﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾**[2] **﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا﴾**[3] .

وما وراء هذين قول بشر ، لا يعد ـ مهما كان قائله ـ مقياسا للحق ، فالحق لا يؤخذ مُسَلَّماً من بشر يخطئ ويصيب .

ولا قداسة فى الإسلام لرأى إنسان ، أو لفعله ، أو لمؤلفاته ، وإنما كل ذلك يعرض على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فليس بحق .

وفى منهج الإسلام : يعرف الرجال بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال .

وبهذا العرض المفصل لقضية المعرفة باعتبارها جوهر الحق نجد أن الإسلام قد هدانا لما هو أسمى وأعظم ، وأدق وأثبت ، وأوسع وأشمل ؛ لأن مقياس الحق يعتمد على الحس والعقل والشرع جميعا فى تآخ ، وتوافق ، واتساق .

فالحس يقومه العقل ، ويحميه من الخداع ، والعقل يهتدى بالدين الحق ، حتى لا تشتط به نوزاعه وشطحاته .

ومن هنا ندرك مدى التخبط الذى وقع فيه من قصروا المعرفة على الحس ؛ إذ أنهم بهذا سيعيشون فى مجتمع بلا قيم ثابتة ، ولا قوانين حاكمة .

وكذا تخبط من قصروا المعرفة على العقل ، وكانت عقولهم

---

(١) سورة الأحزاب الآية/٢١ .
(٢) سورة النور الآية/٥٤ .
(٣) سورة الحشر الآية/٧ .

تحكمها الأهواء ، وتسيّرها النزوات . فأثاروا جدلا كبيرا ، ومراء عنيفا ، ولم يصل إلى حلٍّ يرضى فى قضايا الكون أو ماوراءه .

وجاء الإسلام فهدى العقل الإنسانى ، وقاده إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

إن فى القرآن الكريم آية عظيمة الشأن أَرَّخَت لبواعث الخلاف فى المجتمع البشرى ، وحللت دوافعه ، ثم انتهت إلى نتيجة لا ريب فيها هى أن الهداية إلى المعرفة الحقه عن طريق الإيمان الصادق ، الذى يمنحك التصور الصحيح ، ويضع يديك على أسباب العلم النافع ،

وما نشأ الخلاف فى مجتمع البشر الذى كان أول الأمر على نمط واحد فى التعامل مع الحياة وإن تصارعت أهواؤهم ومطالبهم وشهواتهم ، ثم جاء الرسل بمناهج المعرفة الحقه ، يحددون للإنسانية معالم الطريق الهادية ، ولينقذوهم من اختلافات الأهواء ، الناشئة من تحكيم الحواس ، أو العقل المغلول بالنزعات والنزوات ، فالذين استجابوا للرسل هداهم الله إلى ما ينقذهم من أسباب الخلاف ، ويقودهم إلى الطريق المستقيم .

ولنتدبر معا هذه الآية التى تعد دستورا حكيما ، يكشف طبيعة المجتمع الإنسانى .

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللهُ ٱلنَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللهُ يَهْدِى

﴿مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] .

فقد كان من النكسات التى واجهت الفكر الإسلامى أن يلتمس الحلول من فلاسفة اليونان الذين لم يصلوا إلى شيء يشفى ، ثم نقلدهم ، ونحمل أنفسنا وديننا شططا فى عملية التوفيق بين هراء هؤلاء الناس ، وحقائق الإسلام .

فهل يتفق الحق والباطل ؟ أو هل يتوافق النور والظلام ؟

وهل من الحق أن نسوى بين قول الرحمن ، ورأى الإنسان ؟ ! !

سبحان ربى . إنه بهتان عظيم .

وهناك أمر لا يصح أن نغفله لما يتضمنه من خطورة على قضية الحق .

ذهب بعض المتصوفة مذهبا غريبا ، يؤكد بُعْدَ مناهج المتصوفة - لا سيا فلاسفتهم - عن منهج الإسلام الصحيح .

قالوا : إن طريق المعرفة عندهم هو التذوق .

والتذوق مرحلة يصل إليها المتصوف عندما يسمو إلى مقام الفناء فى الذات الإلهية ، والاندماج فيها ، فيصبح هو هو .

ويقول قائلهم : من ذاق عرف ، وأن العبد إذا وصل ، واتصل بالله انمحت ماهيته . وفنى فى الله ، وغرق فى بحر الوحدة ، وأنقذ من أوحال التوحيد[2] . فيعرف حقائق كثيرة ، لا تَتَسَنَّى

---

(1) سورة البقرة/٢١٣ .

(2) ارجع التى « دلائل الخيرات » التى يقرؤها المتصوفة فى اجتماعاتهم وفيها صلاة ابن مشيش ؛ يقول فيها : « اللهم أنقذنى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحده حتى لا أرى إلا أنت » .

لغيره . وقد عبر ابن الفارض عن هذه المنزلة بقوله فى تائيته :

فما زلت إياها ، وإياى لم تزل ولكنها ذاتى لذاتى صلت
لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلت

كما يقول :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا المنهج فضلا عن أنه غير إسلامى ، وليس له سند صريح من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ، فلا يؤيده حس ، ولا عقل ، ولا شرع ، وهو من ناحية أخرى منهج هدام يحول المجتمع إلى فوضى ، ويبطل شريعة الله . ويهون من أمرها ، وأقطاب هذا الاتجاه ، وأذواقهم . ومواجيدهم معروفة فى كتبهم ، تنطق بما يحمله هذا المنهج من ضلال ووبال [1] .

---

(١) راجع للتعرف على هذه الأفكار الصوفية . بن عربى فى كتابيه نصوص الحكم . والفتوحات المكية ، وراجع تائية ابن الفارض ، وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيميه وتحذير لعدد من أهل العناد لبرهان الدين البقاعى ، وكتاب هذه هى الصوفية لشيخ عبد الرحمن الوكيل بتحقيقنا وارجع أيضا إلى الطبقات الكبرى للشعرانى

قضايا ندرسها فى ظلال الحقيقة الخالدة

١ ـ دين الله هو الاسلام ، وهو منهج وتاريخ .
٢ ـ الإسلام والإيمان .
٣ ـ الاسلام وعقيدة التوحيد .
٤ ـ السنة ... المنهج الأمثل لتطبيق القرآن .
٥ ـ الاسلام والشريعة الهادية .
٦ ـ الاسلام والإيمان بالسنن الكونية .

القضية الأولى

دين الله هو الاسلام

والاسلام عقيدة ، ومنهج وتاريخ

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(آل عمران/٦٧

الديانات السماوية

من العبارات الشائعة على الألسنة ، والتى تتردد بدون وعى أو تحقيق عبارة : الديانات السماوية .. نقولها فى مواجهة الحديث عن الديانات الوثنية ، أو الفكر الإلحادى الذى تورط فيه بعض البشر ، ظنا منهم أن فيه سعادتهم فى الحياة الدنيا ؛ إذ هو ـ كما تصوروا ـ دعامة التقدم ، والحافز على الحضارة والرقى .

والمقولة الثانية صحيحة لأن الباطل تتعدد اتجاهاته تبعا لأهواء تابعيه ، فقاعدته الهوى . وأما المقولة الأولى فخاطئة تماما ؛ لأن الدين السماوى قاعدته الحق . ومن ثم فهو واحد لا يتغير .

والذى تكشف لنا هنا بعد الدراسة الواعية ، التى أسلفناها عن لفظ الإسلام ومشتقاته فى القرآن الكريم أن عبارة .. الديانات

السماوية .. تتم عن فهم خاطىء وتصور غير سديد ، كما نبعد عن الصواب عندما نعتقد أن الديانات السماوية ثلاث : اليهودية والنصرانية ، والإسلام . وباليهودية أرسل الله موسى ، وبالنصرانية أرسل الله عيسى ، وبالاسلام أرسل الله نبيه محمدا عليهم جميعاً صلوات الله ، وتسليمه .

مع أن الحقيقة التي يسجلها القرآن الكريم أن الله بعث رسله ، وأنبياءه جميعاً بالاسلام . فهو الدين الحق عنده ، وليس له دين سواه **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾** (آل عمران ١٩) وأى تدين بغير منهج الإسلام الذى جاء به هؤلاء الرسل مردود على صاحبه ، يقول تعالى : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** (آل عمران : ٨٥)

وأمامنا عشرات الشواهد من القرآن تدعم هذه الحقيقة ، وتؤكد أن الإسلام هو الدين المرتضى للبشر جميعاً .

فهو عقيدة ، ومنهج ، وتاريخ
ويتمثل ذلك فى أمور :

أولها : الإسلام منهج راشد لبنى الإنسان ؟ ولذا دعاهم إليه ، ولفت أنظارهم إلى أصالة الحق فيه . فقال تعالى : **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ**

---

(١) نختلف مع المؤلف فى اعتراضه على تسمية المسيحية واليهودية ديناً سماوياً ، واعتبار الأديان السماوية ثلاثة بإضافة الإسلام إليهما . فالقرآن نفسه يذكر اليهود ودياناتهم والنصارى ودياناتهم وقصصهم مع أنبيائهم ، وتحريفهم لشرائعهم . ثم إنه لابد للتفريق بينهما وبين الأديان البشرية من وصفهما بأنهما سماويتان (المشرف) .

يُرْجَعُونَ﴾[1] فجوهر الدين الإلهى أن ينقاد البشر جميعاً لوجهه وأن تعنوا وجوههم له .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن الجن ، وأن منهم من آثروا الإسلام ؛ لأنه منهج راشد . وخطة سديدة ، فقال تعالى : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[2]

ثانيها : دعوة الناس جميعاً إلى أن يختموا حياتهم بالإسلام ، وعلى نهجه القويم وحِرْصُ الرسل فى ضراعتهم إلى الله على أن يطلبوا منه أن يتوفاهم مسلمين .

مثال الأولى قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3]

تحمل هذه الآية دعوة المؤمنين إلى أن يتقوا الله إتقاء حقا يحفزهم عى النهوض بالتكليف بقدر ما يملكون من جهد ، وليحرصوا على أن تنتهى آجالهم على هدى الإسلام وهداه .

وأما الثانية فتدل عليها الشواهد الآتية .

يوسف عليه السلام بعد أن انتهى به الأمر إلى إنعام وإكرام بعد أن تناوشته أحداث كبار ؛ وألمت به محن جسام لم تشغله النعمة الكبيرة ، والسلطان العظيم ، والتمكين من خزائن الأرض عن طلب الخاتمة الكريمة بأن يموت فى ظلال الإسلام . وعلى عبودية خالصة لله رب العالمين .

---

(١) سورة آل عمران/٨٣ .

(٢) سورة الجن/١٤ .

(٣) سورة آل عمران/١٠٢ .

يقول تعالى : ﴿رَبِّ قَدْ اتَيْتَنى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنى مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحَاديثِ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ اَنْتَ وَلِىّ فى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ تَوَفَّنى مُسْلِمًا وَالْحِقْنى بِالصَّالِحِينَ﴾ (١)

وقال السحرة فى مواجهة بغى فرعون وبطشه ، يردون عليه نقمته ، ووعيده بيقين ذكى . وصبر عظيم ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا الاَّ اَنْ اٰمَنَّا بِاٰيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَا اَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمينَ﴾ (٢)

ثالثها : فى حديث القرآن الكريم عن رسل الله وأنبيائه ندرك أن الرسالات السماوية كلها أجمعت على الدعوة إلى الاسلام بمضمونه وجوهره ، ولفظه أيضاً .

أما دعوتهم إليه بالمضمون

فتتمثل فى قوله تعالى : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ اُمَّةٍ رَسُولاً اَنِ اَعْبُدُوا اَللهَ وَاَجْتَنِبُوا اَلطَّاغُوتَ﴾ (٣)

وعبادة الله ، واجتناب الطاغوت هما جوهر الإسلام الحق ، كما أسلفنا .

وفى سورة هود حدثنا رب العالمين عن نوح ، فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهِ اِنّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . اَنْ لاَ تَعْبُدُوا اِلاَّ اَللهَ اِنّى اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ اَلِيمٍ﴾ (٤)

وحدثنا عن هود ، وقد توجه بالدعوة نفسها إلى قومه عاد . يقول تعالى : ﴿وَاِلٰى عَادٍ اَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اَللهَ مَالَكُمْ

---

(١) سورة يوسف/١٠١ .
(٢) سورة الأعراف/١٢٦ .
(٣) سورة النحل/٣٦ .
(٤) سورة هود/٢٦ .

مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[1]

كما حدثنا عن ثمود ، وقد دعاهم نبيهم صالح إلى المنهج ذاته ، فقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[2]

وحدثنا عن شعيب فى رسالته إلى مدين ، فقال سبحانه : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[3]

ولا شك أن الاتجاه بالعبودية لله وحده ، والإعراض تماماً عن الآلهة الباطلة هو أقوم مضمون للإسلام . وهو المحتوى الصحيح ، والصادق له .

كما نرى الرسل الكرام فى دعوتهم البشر للدين الحق ، يتحرون الاسم الذى اختاره الله ، وارتضاه وهو الإسلام ، ونجد لذلك شواهد متعددة فى الكتاب العزيز .

فنوح عليه السلام يؤكد لقومه أنه أُمر بالاسلام ، وجاء يدعوهم إليه ، يقول تعالى : ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[4]

وإبراهيم عليه السلام يصفه القرآن الكريم بأنه كان مسلماً ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ

---

(١) سورة هود/٦٥ .
(٢) سورة هود/٦١ .
(٣) سورة هود/٨٤ .
(٤) سورة يونس/٧٢ .

كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]

وأن الله أمره بالاسلام فاستجاب لأمر ربه ، وأسلم له .

ووصى به أبناءه من بعده . وكذلك فعل حفيده يعقوب عليه السلام .

يقول تعالى : ﴿وَوَصّى بِهَآ اِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ اِنَّ اَللّهَ اَصْطَفَى لَكُمُ اَلدّيِنَ فَلاَ تَمُوتُنَّ اِلاَّ وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اَلْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اَبَآئِكَ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2]

ولا عجب فالاسلام كان أمنية النبى الأمة ، التى هفا إليها قلبه ، وطلبها من الله تعالى ، وهو يقيم أول بيت للإسلام فى «مكة» وجاء فى دعائه : ﴿رَبَّنَا وَاَجْعَلْنَا مُسْلَمِيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ اَلتَّوَابُ اَلرَّحِيمُ﴾[3]

والاسلام فى عقيدة إبراهيم عليه السلام ، وفى عبادته ، وفى سلوكه ، وفى أسلوب دعوته كان نمطًا فريدا ، وتطبيقا متميزا ، ومن أجل ذلك زكىّ الله ملته ، وسفّه من انحرف عنها فقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[4]

---

(١) سورة آل عمران/٦٧ .
(٢) سورة القرة/١٣١ وما بعده .
(٣) سورة البقرة/١٢٨ .
(٤) سورة البقرة/١٣٠ .

وعندما تجددت دعوة العرب إلى الاسلام على يد محمد عليه الصلاة والسلام ، كان من الحقائق التى قدمها القرآن الكريم للعرب ؛ ليصحح تصورهم لدعوة الإسلام الجديدة ؛ إذ قالوا : **﴿مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾** [1] قال رداً عليهم : **﴿وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ اَبِيكُمْ اِبْرٰهِيمَ هُوَ سَمّٰيكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هٰذَا﴾** [2]

وبهذا أكد لهم أن الاسلام الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام لا يختلف عن الملة الآخرة التى ورثوها عن إبراهيم واسماعيل ، وأن إسم الإسلام . والتسمية به معروفة من الرسالات السابقة .

وموسى عليه السلام أرسله الله إلى فرعون لإنقاذ بنى إسرائيل من ظلمه . وليعيدهم إلى الاسلام . وجاء فى دعوته لهم ، وهو يحثهم على مواجهة الأحداث بصبر وثقة فى الله أن ذكرهم بالإسلام ، فقال : **﴿اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾** [3]

والدليل على أن رسالته هى الإسلام معرفة فرعون بها ، وإعلانه التوبة إليها برفعه شعار الإسلام : إذ قال كما حدثنا الله

---

(١) سورة ص/٧ .

(٢) سورة الحج/٧٨ .

(٣) سورة يونس/٨٤ .

تبارك وتعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

وبهذا المنطق الفرعونى ساعة الخطر يتبين لنا أن موسى عليه السلام كان داعياً للإسلام .

والتوراة التى أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام كانت كتاب إسلام ، وهى بالصورة التى تلقاها موسى عن ربه مصدر نور وهداية ، يقول تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (٢)

والحديث عن الإسلام فى رسالة سليمان عليه السلام تناوله القرآن الكريم فى عدة مواضع ، كلها فى قصته مع ملكة سبأ .

ففى رسالة الدعوة التى دعا فيها أهل سبأ ، وملكتهم إلى الله ، قال فى رسالته ، كما جاءت بالنص فى القرآن الكريم : ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ (٣)

فهو إذن يدعوهم إلى الاسلام ؛ لأنه الدين الذى أرسل به ، وأرسل به الرسل جميعاً .

ورد أهل سبأ على رسالته بهدية يختبرون بها أهدافه ، أهو ملك طامع أم رسول هاد ؟! فرد الهدية ، وطالب أعوانه الأشداء

---

(١) سورة يونس/٨٤ .
(٢) سورة المائدة/٤٤ .
(٣) سورة النمل/٣١ .

باستحضار عرشها ، فقال : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ (١)

واتضحت جوانب الحقيقة أمام الملكة الكبيرة ، وتبين لها أنها أمام رجل دعوة قبل أن يكون رجل دولة : ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

فعرفت الملكة أن سليمان كان مسلماً فأسلمت معه .

ورسالة عيسى عليه السلام كانت الإسلام

ويبدو ذلك فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٣)

فالحواريون فى الآية يعلنون إسلامهم ، ويشهدون على ذلك رسولهم .

وتأتى رسالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام

وفيها آخر دعوة للإسلام . وتتحدث أول ما تتحدث عن الذين أوتوا الكتاب من قبل القرآن . ولما جاءهم القرآن آمنوا به ، وظلوا على إسلامهم الذى عرفوه من قبل . يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ (٤)

---

(١) سورة النمل/٢٨ .
(٢) سورة النمل/٤٤ .
(٣) سورة المائدة/١١١ .
(٤) سورة القصص/٥٦ ، ٥٧ .

وقد حدد القرآن الكريم للنبى محمد عليه الصلاة والسلام حقيقة الدين وأنه الإسلام، ولا شيء غيره، وأى اختلاف عنه اسما أو مضمونا فهو تجاوز مرفوض، يدفع إليه بغى البشر وأهواؤهم، ثم ينصح نبيه إذا حاجّهم، أو جادلهم أن يعلن إليهم أنه أسلم، وأن الإسلام هو الكلمة السواء بينه وبينهم.

وجاء ذلك فى موضعين من سورة آل عمران:

الأول: يقول فيه ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ. فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]

والموضع الآخر: يقول فيه ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]

وقد دعا النبى محمد عليه الصلاة والسلام قومه العرب إلى العبودية لله وحده، وأنها جوهر رسالته، وأن الإذعان لها هو الإسلام، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

(١) سورة آل عمران/١٩ - ٢٠

(٢) سورة آل عمران/٦٤.

﴿فَهَلْ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]

وفى أكثر من آية يؤكد القرآن الكريم على لسان النبى محمد عليه الصلاة والسلام أنه أول المسلمين . بمعنى القدوة التى تحتذى فى عقيدة الإسلام وعبادته وسلوكه .

إن الانتساب للإسلام ، وإعلان الاستمساك به ، والحرص عليه هو منهج التائب المنيب . الضارع إلى الله تعالى : ﴿حَتّٰى اِذَا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَبَلَغَ اَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اَوْزِعْنِىٓ اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى اَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلٰى وَالِدَىَّ وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ وَاَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى اِنِّى تُبْتُ اِلَيْكَ وَاِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]

بهذا تتأكد القضية ، وينكشف على ضوء البيان القرآنى صدقها : الاسلام هو دين الله ، وليس لله دين سواه .

وبقيت كلمة أخرى

إذا ثبت بالدليل اللغوى ، والبيانى ، والتشريعى أن القرآن فوق مستوى جهد البشر ، وأن أحداً لا يستطيع الإتيان بمثل سورة منه ، فعليهم ـ إذن ـ أن يؤمنوا بهذه الحقيقة ، وأن القرآن من علم الله الذى لا إله غيره . وأنهم من أجل الفوز والفلاح مطالبون بالإسلام . يقول تعالى : ﴿فَاِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوٓا اَنَّمَا اُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَاَنْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3]

---

(١) سورة الأنبياء/١٠٨ .
(٢) سورة الأحقاف/١٥ .
(٣) سورة هود/١٤ .

على هذا النحو تضافرت الأدلة . وتكاثفت بما لا يدع مجالا للشك لتقرر أن الإسلام رسالة الرسل والأنبياء جميعاً ، وأنه منهاج الخير فى الدنيا ، والفلاح فى الآخرة .

ويبقى هذا التساؤل ! ! !

وماذا عن اسمى اليهودية والنصرانية ؟؟

سؤال يفرض نفسه عندما نقرر الحقيقة السالفة

وقد أشرنا أن فى تصور الجمهرة من الناس أن موسى جاء باليهودية ، وعيسى جاء بالنصرانية ، وقررنا أن هذا التصور خاطىء .

وبقى أن نتعرف على الأسباب .

إن إسم اليهودية ابتدعه بنو إسرائيل ، وهو مأخوذ من هاد إلى الشيء يَهُود إليه هَوْداً رجع إليه . ومنه قوله تعالى : ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**﴾ والوصف هائد ، ويجمع على هُود (بضم الهاء)

ولعلهم اختاروا هذا الاسم ؟ لأنهم رأوا فى الخروج من مصر مع موسى رجوعا إلى ما كانوا عليه . وعودة إلى الله ، وتوبة إليه .

أو أنه نسبة إلى «يهوذا» أحد أبناء يعقوب ، ورأس قبيلة من قبائلهم الأثنتى عشرة .

أيا ما كان أصل النسبة فالدافع إليها هوى بشرى غالب[1]

(١) راجع كتابنا : بنو إسرائيل فى القرآن ـ دار المعارف/القاهرة .

وكذلك النصرانية

ترجع فى نسبتها إلى الناصرة ـ بلدة فى فلسطين بدأ فيها عيسى عليه السلام دعوته إلى الاسلام .

والمسيحية نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم

وفكرة الابتداع فى الاسم واضحة ؛ لأن دين الله ، وهو الحق من عنده ، لا ينتسب لمكان ـ ولا يدعى لشخص ، وإنما إسم الدين الحق يحمل دائماً المعنى الكبير الذى يقوم عليه جوهره ، وتنبنى عقيدته .

وعندما يخترع الإنسان لنفسه نسبة يعتز بها ، ويحرص عليها ، معبرا عن تدينه ـ معرضا عن الاسم الذى اختاره الله وارتضاه فإن هذا يعنى بداية ضالة على درب الهوى ـ يتعرض معها لمزالق شتى فى العقيدة ، والعبادة والسلوك .

والمتأمل فى أسلوب القرآن الكريم يدرك أنه يدمغ هاتين التسميتين ؛ إذ يقول تعالى : ﴿**لَتجدَنَّ اَشَدَّ اَلنَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَلْيَهُودَ وَاَلَّذِينَ اَشْرَكُوا وَلَتجدَنَّ اَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَلَّذِينَ قَالُوا اِنَّا نَصَارٰى ذٰلِكَ بِاَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَاَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [1]

فالقرآن الكريم حين يصف اليهود يصفهم بالعداوة الشرسة للمؤمنين ويجعلهم فى خط واحد مع المشركين ، وذلك تحت شعار الاسم الذى ابتكروه ، وهو اليهودية .

---

(١) سورة المائدة/٨٢ .

وعندما يتحدث عن اتباع عيسى عليه السلام باسم النصارى يذكر ذلك فى رقة بالغة ، إذ يقول سبحانه : ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ وكأنه ـ سبحانه ـ بهذا ينفى أنها تسمية إلهية .

كما نلحظ أن القرآن الكريم إذا تحدث عن مساوىء هؤلاء وأولئك ، ووصف انحرافاتهم فى عقيدتهم وسلوكهم الدينى يذكر ذلك فى إطار هذا التعبير : قالت اليهود كذا ، وقالت النصارى كذا ، وما فى مقولاتهم إلاّ كل بغى وضلال .

أما إذا تحدث عما لهم من محاسن فإنه يذكر ذلك تحت إسم : أهل الكتاب ، أو يكون الموقف موقف تجمل معهم ، ولو لم تكن لهم فيه حسنة[1]

وفى القرآن الكريم شواهد كثيرة لذلك .

يقول الله تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]

فنفى اليهودية والنصرانية عن إبراهيم لا يعنى أنهما متأخرتان عنه[3] ولا ينسب المتقدم للمتأخر ، وإنما يعنى شيئا آخر هو أنهما ليستا ـ بهذا الشعار ـ من عند الله ، كما يفيد إثبات الإسلام له أنه الدين الذى اختاره الله وارتضاه .

ويقول تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ

---

(١) راجع كتابنا : بنو إسرائيل فى القرآن

(٢) سورة آل عمران/٦٧ .

(٣) القرآن صريح فى الاحتجاج بنفى اليهودية والنصرانية عن سيدنا ابراهيم لأنهما متأخرتان عنه بقوله عز وجل فى الآية السابقة ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما انزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ المشرف .

وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾[1]

ويقول تعالى : **﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾**[2]

ويقول تعالى : **﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً اَوْ نَصَارٰى تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ﴾**[3]

وأما المواضع التى يأتى فيها « أهل الكتاب » فمنها :

قوله تعالى : **﴿مِنْ اَهْلِ ٱلْكِتَابِ اُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ ٱللهِ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾**[4]

وقوله تعالى : **﴿يَا أهلَ الكتابِ تَعالَوا إِلَى كَلِمةٍ سَوآءٍ﴾** وغير ذلك كثير.

والذى يؤكد أن هذين الاسمين مبتدعان من أهواء أصحابها رفض كل منهما لاسم الآخر ، ومنهجه ، يصف ذلك القرآن الكريم فيقول : **﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصارٰى عَلٰى شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارىَ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلى شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ﴾**[5]

ومن هنا ندرك الخطورة البالغة التى تنحدر إليها كثير من الجماهير المسلمة عندما تفصل نفسها عن إسم الإسلام ، مؤثرة عليه إسم التصوف بما ينطوى عليه من طرائق متنازعة ، لكل طريقة شيخ ، ولكل شيخ منهج ، وأحزاب وأوراد ، ويرون فى هذا المسلك

---

(١) سورة المائدة/٦٤ .
(٢) سورة التوبة/٣٠ .
(٣) سورة البقرة/١١ .
(٤) سورة آل عمران/١١٣ .
(٥) سورة البقرة/١١٣ .

أسلوبا أمثل فى العبودية . مع أن الطريق إلى الله واحد ، عبر عنه رب العالمين بقوله الحق : ﴿**وَأَنَّ هذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[1]

ولقد سمعت من بعض عشاق التصوف قوله : إن أى مسلم لا يعرف الطرق الصوفية لا يأمن الخطر على إسلامه ، وأنه قرأ القرآن كثيراً ، وأطلع على كتب السنة . وماذاق لذة العبادة إلاّ عندما عرف الطريق التيجانى .... هكذا قال .

ومعنى هذا أن التصوف منهج ضرورى ، ولن يكون للإسلام تأثير ، أو اكتمال بدونه .

إنها العاقبة الوخيمة التى ينتهى إليها كل إنسان يظن أن الإسلام باسمه الاسمى لا يكفيه ، ولا يغنيه . نسأل الله العافية .

---

(١) سورة الأنعام/١٥٣ .

القضية الثانية

الإيمان والاسلام ... مفهوم جديد

﴿قَالَتِ ٱلْاَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا اَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْايمَانُ فى قُلُوبِكُمْ وَاِنْ تُطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِنْ اَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾

(سورة الحجرات الآية ١٤)

الإيمان والإسلام

من وجهة نظر علماء الكلام

تحدث علماء الكلام وغيرهم من الكاتبين فى العقيدة الإسلامية فى إطار المنهج المتأثر بالفكر الاغريقى عن الإسلام والإيمان حديثا يفهم منه أن الإيمان هو المناط على أساس أنه يعنى الجوهر واللب ؛ لأن معناه الإذعان القلبى . والتصديق الباطنى ، وأن الإسلام يعنى الشكل والمظهر . وبناء على هذا فالوصف بالإيمان أجل شأنا ، وأعظم قدراً من الوصف بالإسلام .

يقول الشيخ عبدالجليل عيسى رحمه الله : موجب اللغة أن الإسلام أعم ، والإيمان أخص . فكل إيمان إسلام ، ولا عكس .

وهذا فهم صحيح من الناحية اللغوية

ثم يتناول العلاقة بينهما حسب الاصطلاح الشرعى ، فيعرض أقوال العلماء والمتكلمين حسب تصورهم لها ، فيقول : ومعناهما بحسب إطلاق الشرع . تارة يطلقان على معنى واحد ، فيكونان مترادفين ، وتارة يطلق كل منهما على معنى يباين الآخر ، فيكونان متباينين . وتارة يطلق أحدهما على معنى ، ويطلق الآخر على ما يشمل هذا المعنى وغيره . فيكون بينهما العموم والخصوص

المطلق .. [1]

وهذه صورة للفهم المتأثر بالمنطق الأرسطى

وهو فهم يحتاج إلى مناقشة . علّنا على ضوئها نخلص إلى ما نراه من فهم جديد نابع من البيان القرآنى ، والسنة النبوية الصحيحة .

ذلك لأن الإسلام على ضوء دراستنا السابقة علم على دين الله ، يندرج تحته كل ما جاء فيه من أبواب الهداية ، والإيمان باب منها ، ولن تكون له قيمة إلاّ فى إطاره ، وهو بدونه ضلال .

والاستعمال القرآنى للفظين يؤكد هذا الاستنتاج . وأن الإيمان الخالص لا ينفك عن الإسلام الصحيح ، يقول تبارك وتعالى : **﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [2]

وإذا تتبعنا لفظ الإسلام ومشتقاته فى الكتاب العزيز على النحو الذى أسلفناه يتبين لنا أنه يعنى الباطن ممثلا فى عبودية خالصة لله ، والظاهر ممثلا فى شعائر ، ومناسك يتقرب بها الإنسان إلى الله ، بجانب الالتزام التام بمنهج الرحمن فى علاقة الإنسان بالحياة والأحياء .

فالله تعالى يقول : **﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾** [3] . وهذا كاف فى عودة صادقة إلى الله .

وعندما أرسل رسول الله ﷺ بكتبه المتعددة ، يدعو ملوك

---

(١) صفوة صحيح البخارى جـ ١ (كتب الإيمان) .
(٢) سورة الذاريات/٣٥ ، ٣٦ .
(٣) سورة الزمر/٥٤ .

العالم ، وذوى الشأن إلى الإسلام ، نرى دعوته الكريمة انحصرت فى هذه العبارة «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين»[1]

فإذا أسلم الواحد منهم نفسه لله فقد سلم ، ولا يراد منه غير هذا ، ولا يطلب المرء لنفسه أكثر من هذا .

بل إن الاستعمال اللغوى ، كما تشهد به معاجم اللغة ، وقواميسها ـ وقد أشرنا لذلك آنفا ـ لا يساند ما اتجه إليه علماء الكلام ؛ إذ الإيمان على ضوئه يعد جزءا من الإسلام .

ولعل الذى زكى لديهم هذا الفهم هذه الآية فى سورة الحجرات : ﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾[2] حيث ذكر الإسلام مقابلا للإيمان ، وكان هؤلاء الأعراب منافقين لهم ظواهر إسلامية ، وليس لهم يقين صادق ، فمن حقهم أن يرفعوا شعار الإسلام ، وليس من حقهم أن يرفعوا شعار الإيمان ! !

ولهم فى هذا الصدد قاعدة يرددونها ، ومؤداها : أن الإيمان والإسلام فى القرآن إذا ذكر أحدهما بدون الآخر شمل الاثنين جميعا ، وإذا ذكرا معا فى آية واحدة اختلف مفهومها ، وأصبح الإسلام يعنى الأعمال الظاهرة ، والإيمان يعنى الأعمال الباطنة .

والجزء الأول من هذه القاعدة صحيح .

فإذا تحدث القرآن عن الإيمان الصادق الذى يحقق لصاحبه القبول والرضا ، ويمنحه المثوبة ، فهو بلا شك لا ينفصل عن

---

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ ٤ .
(٢) سورة الحجرات/١٤ .

الإسلام .

وإذا تحدث عن الإسلام وحده فبلا ريب يعنى العقيدة الخالصة لله ، التى تدفع صاحبها إلى القول الطيب والعمل الصالح .

ولكن الجزء الثانى من القضية هو الذى يتطلب مناقشة

فذكر لفظ الإيمان والإسلام فى آية واحدة لا يعنى اختلافا فى مفهوميهما ، ولا يعنى أن الإسلام مقصور على العمل الظاهرى .

ولنرجع إلى آية الحجرات لنعرضها العرض الذى نراه صحيحا.

فهؤلاء الأعراب الذين نافقوا أرادوا الإعلان عن إنتمائهم لمجتمع المسلمين الذى يقوده رسول الله ﷺ . فرفعوا شعار الإيمان ، وهو تصرف غير سديد ؛ لأن شعار هذا المجتمع هو الإسلام الذى يعد الإيمان جزءا منه والذى يريد الانتساب للكل لا يرفع شعارا معبرا عن الجزء وحده . على أن هذا الجزء الذى رفعوا شعاره ، لم يصل إليه هؤلاء الأعراب بعد . ومن المتوقع أن يصلوا إليه ، وكان الأولى لهم أن يرفعوا الشعار الشامل الذى يحقق لهم الفوز والفلاح ، وهو يتمثل فى طاعة الله ورسوله التى هى الإطار العام للالتزام بالمنهج الإسلامى .

والله تعالى ينصح هؤلاء الأعراب الذين يتخبطون فى القول بعد التخبط فى السلوك والاعتقاد بأن يلتزموا بالإسلام كاملاً غير منقوص .

وكان الرسول ﷺ حريصا على أن ينبه أصحابه إلى التمسك بشعار الإسلام دون شعار آخر حتى ولو كان هذا الشعار هو الإيمان .

من ذلك ما رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام يوزع الصدقات ، ويعطى رجالا لا يراهم سعد مستحقين لها لعدم صدق اسلامهم ، ويترك رجالا يراهم سعد أحق بها . فيقول : يا رسول الله ، مالك عن فلان ، إنى لأراه مؤمناً ؟! فيقول له الرسول عليه الصلاة والسلام «**أومسلما**» .

ويواصل النبى عليه الصلاة والسلام عمله فى توزيع الصدقات ، ويظل سعد يراجعه لما يغلب عليه من معرفته لحال الرجل الذى أعرض عنه رسول الله ﷺ . والنبى ﷺ فى كل مرة يرد عليه قائلا : «**أومسلما**» ثم يقول : «**يا سعد إنى لأعطى الرجل ، وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله فى النار**»[1]

وهنا أقول : إن النبى عليه الصلاة والسلام عندما يقول لسعد : «**أومسلما**» بمعنى بل قل : إنه مسلم . ولا تقل : إنه مؤمن على أساس أن الإسلام هو الشعار الذى ينبغى أن يعلن ، وأن يرفع .

وليس المقصود من هذا أن الإيمان من عمل القلب ، ولا يعلم به أحد بينما الإسلام أمره يسير ؛ لأنه أعمال ظاهرية نراها ، ويمكن أن نحكم على صاحبه بمقتضاها !! إذ يترتب على هذا التصور أمر خطير ، هو أن المنافق يمكن أن يسمى «مسلما» مع أنه لا إسلام له ؛

---

(١) كان سعد يتصور أن الأحق بالصدقة من هو أصح إسلاما . ولأجل هذا بين النبى عليه الصلاة والسلام أن الصدقات فى الإسلام قد تكون أسلوبا لمعالجة القلوب المريضة والمرتابة ، إنقاذا لها من الريب و الشكوك

لأن الإسلام يعنى إسلام القلب ، والمنافق لا يملكه ؛ ولأن المسلم كما عرفه رسول الله ﷺ : «**مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويده**»[1] ، والمنافقون كثيرا ما تمتد أيديهم وألسنتهم بالسوء .

أما كون المنافق مستسلما فى ظاهره لدولة الإسلام التى أقامها رسول الله ﷺ بعد الهجرة فذلك لا يسوغ لنا أن نقول : إنه مسلم ، ولكن نقول : إنه منافق أو مستسلم .

ومن هنا نصل إلى نتيجة .

إسم الاسلام أولى وأعظم ، وأدق وأحكم

ويؤيد ذلك فى تقديرى شواهد عدة .

أولها : اختيار اسم الإسلام علما على الدين الحق الذى اختاره الله لعباده ، وأرسل به رسله ، وقد فصلنا فيما مضى جوانب هذه القضية .

ثانيها : الإيمان الصحيح الصادق ، يمثل جزءاً من الإسلام ، وهو جانب العقيدة ، ولفظ «الإسلام» يوحى بالايمان ، ويعبر تعبيرا تاما عن العقيدة ؛ إذ ماذا يعنى أن يسلم الإنسان وجهه لله إلاّ أن تكون عبوديته خالصة له وحده ؟ ! ![2]

ودخول الجانب القلبى وهو العقيدة فى مفهوم الإسلام يؤيده قوله ﷺ : «**بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاّ الله** ،

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

(٢) وقد حملت الفرق الإسلامية نفسها منذ قديم عبئا كبيرا فى مناقشة قضايا فرضية مثل : ما حكم من اعتقد بقلبه وآمن وصدق ، ولكنه لم يعمل عملا صالحا ، أو ارتكب كبيرة مثلا ؟ ! وثار بينهم خلاف واسع ، ولو أحسنوا التفكير لاستراحوا ، إذ لا يمكن لصادق العقيدة أن يتخلى عن منهج تفرضه عليه عقيدته .

وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»[1]

فالإقرار بالعبودية لله وحده . وبالرسالة لنبيه محمد ﷺ ، وهو مناط الإيمان السديد المقبول عند الله ، بعد الركن الأول فى بناء الإسلام .

وكذلك ما رواه أحمد رضى الله : سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : الإسلام ، فقيل : أى الاسلام أفضل ؟ فقال : الإيمان ..

وقد فسر النبى ﷺ الإيمان بأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، والإيمان على هذا النحو لا يفيد صاحبه ما لم يكن معه إقرار ، واتجاه بالعبودية لله وحده بأن تكون هذه العقيدة فى دائرة الإسلام الحق .

ثالثها : يمكن للإيمان أن يداخله شرك ، ويمكن أن يكون الإنسان مؤمناً وفى الوقت نفسه على ظاهرة من ظواهر الشرك .

وما أكثر المؤمنين ! ! وما أقل العابدين المخلصين الذين سماهم ربنا تبارك وتعالى مسلمين ! !

يقول تعالى : **﴿وَمَا يُؤْمِنُ اَكْثَرُهُمْ بِاللهِ اِلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** [2]

ولم يرد مثل هذا التعبير فى القرآن بالنسبة للفظ «الإسلام» بل نجد الاسلام معه الفوز ، والفلاح والنجاح .

يقول تعالى : **﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ اِلَى اَللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ**

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .
(٢) سورة يوسف/١٠٦ .

ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثقى وَإِلَى ٱللهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ﴾[1] ويقول تعالى :
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]

ففى كلتا الآيتين ارتباط بين الإسلام مع الإحسان ، والفوز والفلاح فى الآخرة .

وجاء فى سورة الأنعام ما يفيد احتمال تسرب الشرك لعقيدة المؤمن ؛ إذ يقول تعالى : **﴿ٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**[3]

والظلم هنا كما فسره رسول الله ﷺ هو الشرك[4] ومفهوم الآية يفيد أن هناك من يؤمن ويقع فى الظلم بأن يوجه شيئا من عبادته لغير الله ، ومثل هذا لا يوصله إيمانه إلى الأمن الذى يرجوه .

رابعها : الإيمان يدعيه كل الناس لكن الإسلام لا يرفع شعاره إلاّ المحبون له ، الراغبون فيه . ومهما خفت حماستهم له ، وضعف ارتباطهم به ، واستمساكهم بمنهجه هم حريصون على شعاره ، والانتساب إليه ، ويمكن بعد فترات الضعف أن يتيسر للمسلمين من يبعث فيهم الحماسة ، ويعزز الصلة ، ويعيد الرابطة القوية ،

---

(١) سورة لقمان/٢٢ .
(٢) سورة البقرة/١١٢ .
(٣) سورة الأنعام/٨٢ .
(٤) فى الاستعمال القرآنى يأتى الظلم بمعنى الشرك فى مواضع كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة لقمان : **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾** وقد وصف الله المشركين بالظلم فى سورة البقرة ؛ إذ قال تعالى . **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾**

فيهتدون بهديه ، ويعودون به أعزاء أقوياء .

لكن دعوى الإيمان ، أى إيمان ! ! عقيدة بلا رابط ، وحماسة بلا منهج ، وعاطفة بلا ميزان ، ودين بلا هداية .

فقد ادعاه المنافقون وادعته طوائف شتى ، وفرق متناحرة ، ألبسته أثواب أهوائها ، فأوقعت بإيمانها المدعى مجتمع المسلمين فى سعير التمزق والشقاق .

ويدعيه الماديون ، والوجوديون ، والماركسيون ؛ لأن هؤلاء جميعاً لكل منهم إله يؤمن به هو الطبيعة ، أو الرياضة ، أو التفسير المادى للتاريخ وحركته ، وحتمية الصراع بين الطبقات .

كل هؤلاء يدّعون الإيمان ، ويتحدثون عن فضائله ، ويدعون إلى الاستمساك به .

ومنا من يدعو إليه ليجمع بين متناقضات الطوائف التى ضلت طريق الإسلام ، الدين الذى اختاره الله ، وارتضاه .

وهناك من يملك الإيمان بالله ، ولا يملك الإسلام له .

فقد كان المشركون قبل مبعث رسول الله ﷺ يعرفون الإيمان ، ويملكونه وحدثنا بذلك القرآن الكريم عنهم .

يقول تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [1]

ويقول تعالى : ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ؟[2]

---

(١) سورة الزخرف/٧ .
(٢) سورة المؤمنون/٨٤ ، ٨٥ .

وغير ذلك كثير .

لكنهم لم يسلموا عندما تصوروا أن الله الذى آمنوا به بعيد عنهم ، متجبر عليهم ، غير عالم بهم . فالتمسوا له الشفعاء والوسطاء من الخلق الذين توسموا فيهم صلاحا .

يصف الله تعالى لنا هذه العقيدة التى آمنوا فيها بالرب لكن لم يؤمنوا به معبودا واحدا ، أو قل : لم يسلموا له ، فكان إيمانهم مجرد ادعاء ، كما كانت قلوبهم هواء ، فيقول تعالى : ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلآءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَلاَ فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (١)

وكل إيمان فى غيبة الإسلام وهديه خبال

ماذا ترى فى إيمان يفقد معه الانسان عقله ، فيغرق فى بحار الجهل والخرافة ؟!

إن هؤلاء الذين يجرون وراء الدجاجلة والمشعوذين ، ملكوا إيمانا ضالا ألغوا معه رشادهم وعقولهم .

لقد انطلقت فى إطار هذا الإيمان الزائف دعوة هادمة : لو اعتقد أحدكم فى حجر لنفعه !! ويراد بلا ريب تقويض بناء الاسلام الذى أعطانا التصور الصحيح للوجود وخالقه العظيم ، ورسم لنا المنهج السديد للعلاقات المثلى بين الأحياء .

وإن هذه الدعوى بجانب هذا تعطى تصريحا بالشرك لعباد

---

(١) سورة يونس/١٨ .

القبور

وماذا ترى فى إيمان يفقد معه الإنسان إرادته ، ويشل فكره ؟[1]

ذكرت لنا الصحف نبأ مثيراً . مؤداه أنه وقعت فى مستعمرة «جورج تاون» التابعة لولاية «جويانا» بأمريكا اللاتينية أكبر حركة انتحار جماعية فى التاريخ . وفى الحقيقة أنها مذبحة ؛ لأنهم انتحروا تحت ضغط مادى ونفسى .

يقيم فى هذه المستعمرة طائفة دينية متطرفة ، يسمون أنفسهم «معبد الشعب» وزعيمهم قس اسمه : الأب جيم جونز .

يبدو أن الحكومة الأمريكية أرسلت لجنة لتقصى الحقائق فى هذه المستعمرة ، وكشفت أموراً مريبة ، فقتلوا أكثر أعضاء اللجنة .

ودعاهم الأب إلى الانتحار . وحببه إليهم ، وزينه فى قلوبهم ، وملأ نفوسهم كراهية للحياة بأساليب نفسية بارعة .

ومن مبادىء الطائفة أن يتخلى العضو عن كل ممتلكاته للطائفة ، ويتعرض لصور من غسيل المخ . والاستهواء الذاتى ، ونحو ذلك .

تقول عضوة سابقة فى الطائفة : إن الأب جيم جونز كثيراً ما يرتقى مذبح الكنيسة فى أيام الآحاد . ويتساءل : من منكم سوف يتنازل عن حياته من أجلى ؟! من منكم سوف يقدم حياة أطفاله

---

(١) العقيدة فى الإسلام منهج حياة د . لصوين

من أجلى ؟! من منكم سيقدم حياة زوجته ؟!

وتقول العضوة «لينا» : كانت الجموع تتدافع ، وتقول فى صياح : «أنا يا أبتاه» .

والصورة التى تم بها الانتحار بالغة العجب : قدمت الأمهات السم لأطفالهن فى عصير البرتقال ، ورأين الأطفال يتساقطون ، ثم شربن السم وراءهم فى هذا العصير ، وتبعهم رجال وهكذا .

وحاول البعض أن يفيق ، ويسترد إرادته ، فلاحقه حراس الطائفه ، وأطلقوا عليهم النار ، وفر آخرون فى الأحراش والغابات [1] .

فما هذا الإيمان الذى يفقد الإرادة ، ويجرد صاحبه من الإنسانية والرحمة ، ويسلب منه التعقل والأناة ، ويخضع لتأثيرات قس داهية ، أشد بلاء من الشيطان .

إنه الخبال بعينه .

وكل إيمان يمكن أن يلقى صاحبه هذا المصير ، متى كان بعيداً عن هدى الإسلام وهداه ثم ما رأيك فى إيمان يفقد معه الإنسان حريته وكرامته ؟!

إنه لم يبذله بإخلاص لربه ولو فعل لكان كريما ، ولكنه بذله كاملا لشيخ الطريقة يأتمر بأمره ، ولا يعارضه ، ولا يناقشه حتى لا يطرد من ساحة عطفه ، ولا بد له أن يكون بين يديه كالميت بين

---

(١) وردت تفصيلات هذه المذبحة التى رددتها وكالات الأنباء فى صحيفتى الأخبار والأهرام ــ القاهرة بتاريخ ٢٢ ، ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٧٨ . وتم الانتحار يوم ١٩٧٨/١١/٢١ .

يدى غاسله .

وفى مجاهل الفكر الصوفى من ذلك كثير .

إذا عرفت هذا تقررت أمامك هذه الحقيقة .

الإيمان بلا إسلام ضلال

والاسلام شطوط محكمة توجه برفق ، وحكمة ، وبصيرة هادية فيوض الحماسة التى يفيض بها قلب المؤمن ، فإذا بالايمان مع الإسلام أداة بناء ، ووسيلة ارتقاء ومنهج حرية وكرامة .

ويبقى بعد هذا حق على الانسان الذى آمن إيمان المسلمين أن يقول : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

مواجهة القرآن الكريم لأدعياء الإيمان .

واجه القرآن الكريم أدعياء الإيمان بأسلوب بالغ الحكمة ، والرشد ، فرأيناه فى كل حديث له عن الإيمان والمؤمنين يسوق معه ما ينبغى لهم ، وما يجب عليهم من إخلاص فى العقيدة والعبادة ، واستقامة الأخلاق والسلوك .

يقول تعالى : **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**[1]

(١) سورة الأنفال/٣ ــ ٥

ويقول تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١)

ويقول تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ... الآيات﴾ (٢)

ويقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣)

هذا التلازم فى الأسلوب القرآنى بين الإيمان ، وصدق الصلة بالله ، ومناهج الأخلاق والسلوك ، فيه رد بليغ على أدعياء الإيمان بأنهم لا يفيدهم الإيمان إلاّ إذا كان بالله ، وكان خالصاً له وحده ، يحفز صاحبه إلى كل خير وبر ، ويدفعه إلى كل حسن من القول ، وطيب من الفعل .

ويدعم هذا الارتباط ما تصدر به الأسلوب من أدوات الحصر أو التأكيد .

---

(١) سورة الحجرات/١٥ .
(٢) سورة المؤمنون/١ ــ ١٠ .
(٣) سورة الكهف ٣٠

القضية الثالثة

الإسلام ... وعقيدة التوحيد

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة البقرة/٢٥٦)



عقيدة التوحيد فى لوازم كلمة « الإسلام » :

من خلال ما أسلفناه من درس لغوى لكلمة الإسلام ، ولما تناولناه من موازنة دقيقة ، كاشفة عن حقائق خافية بين كلمتى الإيمان والإسلام ، نستطيع أن نبرز هذه القضية ، وهى : أن لفظ الإسلام يعى وعيا تاما ، ويحتوى احتواء شاملا معنى التوحيد ، أو الوحدانية لرب هذا الوجود ، الذى نسلم له الوجوه والقلوب .

فإسلام الوجه والقلب لله لن يتحقق إلا بتوحيد الألوهية ، أو توحيد العبادة وهو أسمى مظاهر التوحيد ، وأصدقها تعبيرا عن الإيمان القويم .

توحيد الألوهية :

وتوحيد الألوهية ، أو توحيد العبادة يكون بتوجيه العبادة ، ومظاهرها المختلفة لله تعالى وحده ، دون أن نوجه شيئا من مظاهرها لغيره ، وهو ما تعبر عنه فى إيجاز ، وإحكام كلمة « لا إله إلا الله » الكلمة الطيبة ، أفضل ما قاله رسول الله ﷺ ، وما قاله الأنبياء جميعا من قبله .

والعلاقة بين الإسلام وتوحيد العبادة تظهر فى أمور :

أولها : قوله تبارك وتعالى : **﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾** [1] .

والاستمساك بالعروة الوثقى الذى جاء فى الآية مرتبا على إسلام

---

(١) سورة لقمان/٢٢ .

الوجه لله هو بعينه توحيد العبادة الذى يربط المؤمن برباط العبودية الخالصة لله تعالى وحده ، وذاك لأن هذا التوحيد جاء فى آية أخرى معبرا عنه بالعروة الوثقى ؛ إذ يقول ربنا تبارك وتعالى : **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (١) .

والكفر بالطاغوت ثم الإيمان بالله هو المنهج السديد لغرس توحيد العبودية فى القلوب .

وهذا كله يؤكد أن إسلام الوجه لله مع الإحسان أى الإخلاص يأتى بعد تطهير القلب من عبادة الطاغوت ، وتهيئته لعبادة الله تعالى وحده ؛ ولذا كان وصف القرآن الكريم لكليهما بالعروة الوثقى التى لا تنفصم ، والرابطة المحكمة التى لا تحل .

ومادمنا قد أشرنا إلى منهج القرآن الكريم فى توجيه القلوب إلى عبادة الله تعالى وحده لابد لنا من إلقاء بعض الضوء عليه .

ذلكم أن هذا المنهج يتم على مرحلتين متتابعتين ، ومترابطتين ، كما أشارت إليهما آية سورة البقرة **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾** .

المرحلة الأولى : تطهير القلب من كل عبودية ، وذل ، وخضوع ، واستكانة ، واستلهام للرشد والتشريع من غير الله تعالى ؛ إذ أن كل من تمنحه شيئا من ذلك من خلق الله ، يعد طاغوتا ، صارفا عن المعبود الحق .

المرحلة الثانية : الإنابة إلى الله ، وشغل القلب بالعبودية

---

(١) سورة البقرة/٢٥٦ .

وذلك بأن توجه أقوى ما يملكه قلب البشر من مشاعر وأحاسيس كالحب والخوف والرجاء . والأمل . والخشية والذل والضراعة ، وكذلك ما يدفع إليه القلب من قول أو عمل كالحلف والنذر ، وسائر العبادات والقربان لله سبحانه وتعالى وحده .

وقد أشارت لهذا المنهج بمرحلتيه هذه الآية من سورة الزمر : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [1] .

وقد وعته فى إيجاز بالغ كلمة « لا إله إلا الله » وذلك بما فى شطرها الأول من نفى يعنى أن نقول : لا لكل ما أُلِّهَ من دون الله ، وبما فى شطرها الثانى من استثناء من عموم النفى يعنى أن تقر بالعبودية له وحده .

وهذه آية أخرى تؤكد هذا الارتباط بين الإسلام وتوحيد العبادة .

يقول الله تعالى فى سورة الزمر يأمر نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يبلغ حقيقة توحيد لعبادة . المرادف للإسلام للناس جميعا من حوله : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2] .

فالنبى عليه الصلاة والسلام قد أُمِرَ فى الآيتين بأمرين :

أولها : العبادة الخالصة لله .

والآخر : أن يكون قدوة للناس بإسلامه لله ، والقدوة فى الإسلام لا تتحقق إلا أثرا للعبودية الخالصة .

---

(١) سورة الزمر جزء من الآية/١٧ .
(٢) سورة الزمر/١١ - ١٢ .

ويأتى هذا الارتباط بصورة قريبة من نهج الآية السابقة ، أى الأوامر الإلهية الصادرة لرسول الله ﷺ تدعوه إلى عرض عقيدته القائمة على العبودية الخالصة ، والتى كان بها قدوة ، وصاحب أولية على المسلمين جميعا ، وإن كانت هذه الآية تضيف نسبة عقيدة التوحيد إلى إبراهيم عليه السلام وذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام :

﴿قُلْ اِنَّنِى هَدٰنِى رَبِّى اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ اِنَّ صَلاٰتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ اُمِرْتُ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١) .

ومما نلاحظه أن القرآن الكريم يشيد دائما بعبادة إبراهيم ، وتوحيده ، ويثنى على ملته ، وينفى عنه الشرك ، بل إنه يؤكد سفاهة من خالفوا منهجه فى التوحيد الصادق ، والعبودية الخالصة .

والتعبير عن عقيدة إبراهيم ومنهجه فى علاقته بالله بلفظ الملة دليل واضح على سمو العقيدة ، وعمق الالتزام .

وعلى ضوء هذا فإننا نستنتج من هذه الآيات البينات أمورا :

أولها : التفسير القويم للاسلام يتمثل فى توحيد العبادة ، فما كانت أولية النبى عليه الصلاة والسلام للمسلمين إلا بتأصل معنى العبودية الخالصة فيه .

ثانيها : المظاهر الأساسية للعبادة أربعة ، تتمثل فى الصلاة وهى صلة بالله ، والذبح وهو من أعمق أعمال العبادة تأثيرا فى

---

(١) سورة الأنعام/١٦١ ـ ١٦٣ .

النفس ، وتوجيه الحياة بما تحفل به من أعمال وأحداث لله ، والموت والاستعداد له نهاية ينبغى أن يستقبلها الإنسان تحركه بواعث اللقاء بالواحد المعبود .

ثالثها : هناك توازن تام بين هذه المصطلحات الأساسية فى الإسلام ، وهى : الصراط المستقيم ، والحنيفية السمحة ملة إبراهيم ، والإسلام ، والتوحيد ؛ إذ تلتقى كلها على مُؤَدَّى واحد ، ومضمون لا يختلف .

توحيد الربوبية :

مما تفرد به العلامة السلفى ابن تيمية فى تناوله لعقيدة الإسلام هذه الاصطلاحات الجديدة والدقيقة فى تصوير عقيدة التوحيد ، كما هى ، وكما ينبغى أن تكون . ولم نجد مثلها فى اصطلاحات علماء الكلام الذين تأثروا فى تفكيرهم بفلسفة اليونان ، وما لها من مصطلحات أصابت ملكة البيان فى العقل العربى المسلم .

من هذه التعبيرات الجيدة لابن تيمية توحيد الألوهية ، وقد أوضحنا معناه وغايته ، وأنه فى مفهومه جوهر الإسلام الحق ، وأسمى مدى تصل إليه العبودية الخالصة لله .

وهو مناط الصلاح والإصلاح ، والسبيل إلى وراثة الأرض ، واستخلاف الإنسان عليها .

يبدو هذا فى قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّالِحُونَ . إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ**

عَابِدِينَ﴾ [(١)] .

كما نراها واضحا فى سورة النور ؛ إذ ذكر ربنا العبودية ، المنزهة عن الشرك شرطا للاستخلاف ، والأمن ، وتمكين الدين فقال تعالى : **﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ آمْنًا يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا . وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [(٢)] .

ومنها توحيد الربوبية ، وهو ما نحن بصدد الحديث عنه .

وهو يعنى وحده الرب ، أى المربى ، الذى ربى الوجود بنعمه ، وشمله برعايته ، وفضله بأن تؤمن بالله خالقا ، رازقا ، مدبرا للأمر كله ، بيده الخير والشر والنفع والضر ، وتقدير الأمور ، وتصريفها .

وهذا القدر من الإيمان يعرفه البشر جميعا إلا من ألحدوا ، فآمنوا بالحس وكفروا بالغيب ، وعبدوا المادة ، وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر .

حتى هؤلاء الذين تنكروا للإيمان بالرب إنما كان ذلك ناشئا من طغيان تورط الإنسان فيه ، فجحد الفطرة الكامنة فى أعماقه ، والتى تلزمه بإيمان حتمى برب هذا الوجود ، مغالطا وجدانه البشرى ، بدليل أن فطرته التى جحدها قد تغلبه أحيانا فيقول : يارب ، بنفس اللسان الذى نطق بالبهتان والبغى .

---

(١) سورة الأنبياء/١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢) سورة النور/٥٥ .

ودعنا من هؤلاء فليس لهم فى حساب الحق ميزان ، شأن من يجحد الشمس مشرقة ليس دونها حجاب ، وكل ما يحتاجون إليه أن تفيق عقولهم من ركام المادة الطاغية ، فيستبين الحق لهم .

لكن جمهرة البشر يؤمنون بالربوبية ، ويقرون بها .

وعلى سبيل المثال العرب قبل الإسلام ماكان يعوزهم الإيمان ، إذ كانوا مؤمنين ، وقد شهد لهم القرآن الكريم بذلك ، فقال تعالى : ﴿**قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَآ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ**﴾ (١) .

ومشكلة الأمم التى أرسل فيها الرسل لم تكن هى الإيمان ، وإنما كانت فى إخلاص العبادة لله . أى فى توحيد الألوهية ؛ ولذا رأينا الرسل جميعا بدءوا لسيرة الدعوة بداية واحدة ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِن إِلٰهٍ غَيرُهُ**﴾ .

وكانت رسالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿**إِنَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ (٢) .

وقد سجل القرآن الكريم حقيقة إيمان الجمهرة بالله ربا ، وضلالهم عنه معبودا واحدا بالتورط فى بعض المظاهر الشركية التى

---

(١) سورة المؤمنون/٨٤ـ ٩٠ .

(٢) سورة الزمر/٣ ، ٤ .

يقعون فيها ، مستهينين بها ، متصورين أنها لا تضر بقضية الإيمان عندهم ، يقول تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١) .

ويقول تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٢) .

وبهذا البيان تبدو لنا أهمية توحيد العبادة ، وأنه المناط فى صحة العقيدة ، واستقامة الإيمان ، وسلامة القلب .

توحيد الأسماء والصفات :

لله تبارك وتعالى أسماء سمى بها نفسه ، وصفات اتصف بها سبحانه ، تتجه كلها نحو السمو والكمال ، وتتعالى عن الشبه والنظير ، وهاتان حقيقتان سجلهما الكتاب العزيز ، أما الأولى فنجدها فى قوله تعالى : ﴿ولله الأسمآء الحسنى فادعوه بها﴾ (٣) وأما الثانية فترشدنا إليها هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٤) ويحسن فهم المؤمن للذات الإلهية ، ويصح تصوره لها طالما يستمد معرفته من القرآن الكريم بمنأى عما قاله فلاسفة اليونان ، ومن بعدهم فلاسفة المسلمين الذين ذهبوا بفكرهم البشرى مذاهب شتى ، وأوغلوا فى متاهات ضاله .

---

(١) سورة يونس/١٨ .
(٢) سورة يوسف/١٠٦ .
(٣) سورة الإسراء/١١٠ .
(٤) سورة الشورى/١١ .

وحسب المسلم أن يدعم يقينه بما يقرأ من آيات التمجيد والثناء والحمد ، وبما يرشد إليه القرآن الكريم من آثار القدرة ، ومظاهر العلم والحكمة ، وروائع الآيات الموجودة فى السموات والأرض ، وسائر المخلوقات ، وفى الإنسان نفسه ، مما يجعل ذا العقل الصريح واللب الواعى يثق بما لا يدع مجالا للشك بوجود الخالق العظيم ؛ إذ من المحال أن المصادفة تبدع لو سلمنا القول بأنها تخلق ! !

من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] .

فقدمت الآيات سبعا من روائع الخلق ، وأسندت أمر إدراكها ، وفهم المغزى الكبير من ورائها لمن يعقلون وحدهم ، أى يفكرون متجردين من أى تبعية لعرف أو تقليد ، أو دين موروث ، أو فكر فلسفى خادع .

ومتى تجاوز المسلم هذه المرحلة فلن تُعْيِيَه قضية الأسماء والصفات ، ولن تكون عقبة فى طريق الإيمان ، ولن تكون خطرا على اليقين ؛ إذ سيكفيه ــ كما أسلفت ــ ما يقرأ من آيات تصف إبداع الخلق ، وعظمة الخالق . وسيجد فيها ما يصرفه عن البحث فى الذات وكنهها ، وحقيقة جوهرها .

---

(١) سورة البقرة/١٦٤ .

ومثل هذا المؤمن بمجرد أن يقرأ هذه الآية وأمثالها لن يكون منه إلا الإذعان والكف عن الكلام ، وهي قوله تعالى : ﴿اللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلاَّ هُوَ اَلْحَىُّ اَلْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِى اَلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى اَلْاَرْضِ مَنْ ذَا اَلَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ اِلاَّ بِاِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ اَلسَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ اَلْعَلِىُّ اَلْعَظِيمُ﴾ (١) .

وقد كان على هذا النهج رسول الله ﷺ وأصحابه ، يقرءون القرآن ، فيزدادون إيمانا مع إيمانهم ، ويقوى تصورهم لكمال الله ، وتنزيهه .

ولم تستوقفهم آية تجعلهم يرتابون فى قضية التنزيه ، أو توقع فى تصورهم القول بالتشبيه ، حتى الآيات التى قد توهم المشابهة للبشر ، والتى قد جاءت فى الكتاب العزيز ؛ لتقرب الفهم للإنسان ، أو تسهم فى الأداء البلاغى للآية ، بحيث يبدو الكمال الإلهى قريبا من تصور العقل البشرى .. لم تُثِرْ جدلا بينهم ، فكانوا يقرءون : ﴿اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اَسْتَوَى﴾ (٢) ﴿يَدُ اَللّٰهِ فَوْقَ اَيْدِيهِمْ﴾ (٣) ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى﴾ (٤) ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (٥) فما وقع فى ذهنهم معنى التشبيه ، ولا سألوا رسول الله ﷺ فى معنى أى لفظ من هذه الألفاظ ؛ لأن من ملك العلم

(١) سورة البقرة/٢٥٥ .
(٢) سورة طه/٥ .
(٣) سورة الفتح/١٠ .
(٤) سورة طه/٣٩ .
(٥) سورة القصص/٨٨ .

الصحيح ، والإيمان الحق . والعقل الحر الورع ، سيقول ما علمه الله إياه : ﴿وَالرَّسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ امَنَّا بِهِ كُلٌّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [1] .

لقد شغلتهم الاستجابة لأوامر الله . والوقوف عند حدوده عما أضاع فيه غيرهم وقتهم . وتفكيرهم ولذلك قابلوا كل متشابه منها بالإيمان به ، وإثباته لله . مفوضين الأمر فى معناه إلى الله ، مسجلين تنزيه الله عن المشابهة بسواه .

أتى الإمام مالك رضى الله عنه رجل يسأله عن معنى الاستواء ، فقال له هذه الإجابة الواعية : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب . والسؤال عنه بدعة ، ثم قال للسائل : وأظنك رجل سوء ! ! !

هكذا حسم القضية . وكشف عن سلامة الوجهة التى اتجه إليها السلف فى موقفهم من آيات الصفات .

والذى جعل من آيات الصفات قضية أثيرت حولها مشكلات هو تأثر المتكلمين المسلمين بمناهج الفلسفة ، وسماحهم للعقل البشرى أن يتجاوز حده ، ويبحث فى حقيقة الذات [2] .

وبناء على هذا الخطأ فى مسيرة التفكير الإسلامى ، وجدنا فى مجال الفرق الكلامية هذه الأسماء : المعطلة ، والمشبِّهة .

وتطلق الكلمة الأولى على المعتزلة ، أصحاب واصل ابن عطاء ، الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى عندما اختلف معه

---

(١) سورة آل عمران/٧ .
(٢) راجع الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى جـ ١ د . محمد البهى.

فى شأن مرتكب الكبيرة ، وكان الحسن يراه مسلما عاصيا . بينما يراه واصل بن عطاء فى منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان . وذهب الخوارج إلى القول بكفره .

وكان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد ؛ لأنهم غالوا فى فهم التوحيد ، حتى تصوروا أن وحدانية الله تستلزم نفى الصفات الزائدة عن الذات ، على أساس أن الصفة شىء زائد عن الذات ، فيلزم التعدد .

وأما القدرة والإرادة والعلم ، ونحوها فيرونها شيئا لازما للذات الإلهية ، وليست بزائدة عليها ، وأما الصفات التى وردت فى القرآن الكريم من اليد ، والوجه ، والاستواء ونحوها فيتجهون إلى تأويلها بما يتمشى مع التنزيه .

وأما المشبهة فهم الذين أثبتوا كل صفة وردت فى نص صحيح ، على أساس مفهومها البشرى ، دون أن يضعوا فى اعتبارهم التنزيه الإلهى .

ومنهج التشبيه واضح فى الفكر اليهودى عندما يتناول الجانب الإلهى ؛ ولذلك تجد فى أسفار التوراة وشروحها عجبا عندما يتحدثون عن رب العالمين ، ومصارعته ليعقوب ، ونحو هذا من شطحات الفكر البشرى ، أو قل من طغيانه .

وكان من عيوب التأثر بالفلسفة أننا وجدنا علماء الكلام كالأشاعرة والماتريدية الذين حملوا اسم أهل السنة يصفون الله تعالى بصفات استمدوها من الفكر الفلسفى وتركوا صفات أسمى منها فى التعبير ، وأدخل فى باب التنزيه والكمال ، وهى التى وصف بها ربنا

نفسه فى كتابه[1] .

فهم يصفون الله تعالى بصفتى : القدم والبقاء وفى القرآن الكريم ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾[2] .

ويصفونه بصفة القيام بالنفس . وفى القرآن الكريم ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾ .

وأما الاتجاه السلفى الذى سار عليه النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه فهو إثبات الصفات بلا تأويل مع يقين تام بالتنزيه عن معناها البشرى ، أو على حد قولهم : آمنا بما جاء عن الله على مراد الله ، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله . وهذا منطق حق وحكمة ، فلنترك معناها لمن وصف نفسه بها وهو العليم الحكيم .

والعقل المسلم غير مطالب بالتماس تفسيرات لها تحت شعار التنزيه فيفتات على علم الله . وقد يخرج بتأويلاته عن مراد ربه فيعرض نفسه لبلاء لا يطيقه .

وسيظل الاتجاه السلفى دليلا على صدق الإيمان ، وعمق اليقين ، كما سيظل منهجا للسلامة . باعثا على الاستقامة ، مجنبا صاحبه العثرات ، آية على حكمة العقل . وسداد الفكر وصدق رب العالمين إذ ختم آية الآيات المتشابهات بقوله : ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٨ وما بعدها .

(٢) سورة الحديد/٢ ، وراجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤ .

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا ٱلأَلْبَابِ﴾ آل عمران/٧ .

توحيد الذات :

الذات الإلهية واحدة ، والتعدد مرفوض .

وهذه الوحدانية هى جوهر عقيدة التوحيد فى الإسلام الذى جاء به الرسل والأنبياء جميعا وهذه الأنواع السابقة من التوحيد ، وهى : توحيد العبادة ، وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات قائمة على هذا الأساس .

وقد قدمت هذه الأنواع لأهميتها فى مواجهة الظواهر الشركية فى داخل المجتمع المؤمن .

وتوحيد الذات إنما نواجه به الزيغ والانحراف فى العقائد الوثنية التى تقول : بتعدد الآلهة .

وقد أشرت إلى أن المعتزلة أسرفوا على أنفسهم ؛ إذ عطلوا بعض الصفات من أجل أن يتحقق توحيد الذات ، وكأنهم رأوا – عير موفقين – فى الصفات زيادة تتنافى مع توحيد الذات .

وأمامنا المنهج القرآنى :

نراه يقدم قضايا حاسمة وقاطعة يؤكد فيها وحدانية الذات .

كما يقدم حوارا رائعا ، وعميقا ، وملزما يبطل القو ل بالتعدد .

أما عن الجانب الأول من المنهج ، فيقول فيه ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة/١٦٣ .

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [1] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [2] .

والتعبير بأحد ينفى التعدد بصورة لا تقبل الشك ؛ إذ أن « أحد » ليس له تال فى العدد . وهو الثانى والثالث إلخ .

وأما الجانب الثانى من هذا المنهج . وهو جانب الحوار ، فقد ورد فى مواطن شتى من الكتاب العزيز .

يقول الله تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [3] .

ففى هذا التساؤل : أإله مع الله ؟ نفى قاطع ، وملزم ، أو قل : مبلس يرد على القائلين بالتعدد . وأنه يتنافى مع ما فى واقع حياتنا من خلق مبدع .

وتسوق الآيات التالية لهذه الآية ألوانا من نعم الله ، وبديع صنعه ، ثم يأتى هذا الاستفهام الإنكارى مثيرا للعقل الإنسانى المتورط فى عقيدة تعدد الآلهة .

وتختم هذه الآيات بما يفيد نفى العدالة والعلم والتذكر عن القائلين بالتعدد ، كما تحمل وصفهم بالسذاجة ؛ إذ يقبلون أمرا يرفضه كل برهان .

ويقول تعالى : ﴿أَمِ اتخَذُوا آلهةً مِن الأرضِ هُم يُنْشِرون . لَو

---

(١) جزء من الآية/٥١ سورة النحل

(٢) سورة الإخلاص/١ .

(٣) سورة النحل/٦٠ .

كَانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلا اللهَ لَفَسَدَتا . فسبحان الله رَبِّ الْعرشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١) .

وفى هذه الآيات رد على القول بالتعدد بأنه لو كان لما استقام أمر الحياة ، ولما صلح أمر الوجود ، ولفسدت السموات والأرض .

وبعد هذه الآية بآية واحدة حوار آخر ، فيه رد على قضية التعدد ، بمخالفتها لدين الله الحق ، كما حملته رسالات الرسل التى تلقى تقديرا عند العرب فى جاهليتهم يقول تعالى : **﴿أم اتخذوا مِن دُونه آلهة ، قُل : هَاتوا بُرهَانَكُم ، هَذا ذِكرُ مَن مَعى ، وَذكرُ مَن قَبلِى ! ! بَلْ أكثَرُهم لاَ يَعلَمون الحقَّ فَهُم مُعْرِضُون﴾** (٢) .

وبهذا تقرر الآية أن اتخاذ الأصنام شفعاء يتناقض مع قضية توحيد الذات أيضا .

وفى سورة « المؤمنون » آية تتحدث عن كيفية الفساد الذى يتسرب إلى الوجود فى حالة التعدد ، فيقول تعالى : **﴿مَا اتَّخَذَ اَللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ اِلهٍ اِذًا لَذَهَبَ كُلُّ اِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اَللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** (٣) .

لقد قدم القرآن الكريم ثلاثة أنماط من البراهين ، تدحض القول بالتعدد .

أولها : دليل الاتساق والإبداع فى الكون .

---

(١) سورة الأنبياء/٢١ ـ ٢٢ .
(٢) سورة الأنبياء/٢٤ .
(٣) سورة المؤمنون/٩١ .

ثانيها : دليل العقل والمنطق الذى يحتم الفساد حالة التعدد .

ثالثها : دليل التاريخ الدينى . وأن دين السماء ما جاء إلا بالوحدانية .

وهكذا تظاهرت البراهين على قضية التوحيد ، بكل صوره واتجاهاته ، بحيث إذا توافرت هذه الأنواع المختلفة والمتسقة من التوحيد السليم تقوم العقيدة الصادقة فى الإسلام .

القضية الرابعة

السنة النبوية

المنهج الأمثل لتطبيق القرآن الكريم

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

(سورة النور/٥٤)

السنة النبوية :

تجسيد للدعوة الإسلامية .. دعوة الحق .

وهى المنهج الأقوم والأمثل لتطبيق القرآن الكريم .

هذه هى القضية الرابعة التى نتحدث عنها فى ظلال الحقيقة الكبيرة التى أبرزنا عظمتها ورسوخها فى الفصل الأول من هذا الكتاب : الإسلام .. دعوة الحق .

والسنة النبوية الكريمة التى أمرنا باتباعها . والتماس القدوة منها مَعْلَم من معالم الحق فى هذا الدين القويم ... الإسلام .

إن من القواعد المقررة فى شريعة الإسلام الهادية أن الله تبارك وتعالى اصطفى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام لأمور ثلاثة .

أولها : أن يتلقى القرآن الكريم ؛ إذ يقول تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1] .

وكان تلقى الرسول عليه الصلاة والسلام للكتاب العزيز بصورة تمحق شبه المرتابين والمتشككين ، إذ يقول تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2] ؛ إذ النزول على القلب يدفع شبهة النسيان أو التزيد .

ثانيها : أن يبلغه للناس كما أنزل . قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[3] .

ثالثها : أن يتجسد القرآن الكريم فى سلوكه عقيدة ، وعبادة ،

---

(١) سورة النمل/٦ .

(٢) سورة الشعراء/١٩٣ ـ ١٩٥ .

(٣) سورة المائدة/٦٧ .

وأخلاقا ، فيقدم للناس الصورة الصحيحة والقويمة لتطبيق القرآن الكريم والعمل به ، وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ ، فقالت : «كان خلقه القرآن»[(١)] .

ومن هذه المهمة الثالثة تستبين لنا حقيقة ، بالغة الخطورة هى القيمة العظيمة والكبيرة للسنة النبوية المطهرة ، ومنزلتها فى التشريع الإسلامى .

وقد أمرنا الله تعالى فى القرآن الكريم إذا كنا نرجو رضوانه ، ونرجو النجاة من عذابه وعقابه أن نتلمس القدوة فى العمل الإسلامى من رسول الله ﷺ فقال جل شأنه : **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْاٰخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾**[(٢)] .

والقدوة وهى تحويل التشريع إلى واقع مُحَسّ يهتدى به الآخرون ضرورة لإبراز محاسن الشريعة ، وحفز الآخرين على العمل بها ؛ إذ التشريع بدون القدوة مجرد سطور مكتوبة ، والقرآن الكريم بدون عمل به ، وتقديم الصورة الطبيعية لتطبيقه لا يمكن أن يؤدى رسالته فى الهداية والإصلاح .

وهذه مهمة السنة النبوية أنها تبين للمسلمين فى كل زمان ومكان كيف يتم بنجاح تحول القرآن الكريم إلى واقع حى مؤثر أجمل الأثر وأبلغه فى واقع المجتمعات الإنسانية فى الجزيرة العربية وفيما حولها .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سورة الأحزاب/٢١ .

ومن هنا عندما عرف القرآن الكريم البر لم يعرفه تعريفا نظريا ، وإنما عرفه تعريفا عمليا من خلال تجسده فى إنسان ملتزم بمعالمه وحدوده تتجلى لنا هذه الحقيقة فى قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ... الآية﴾[1] وقوله سبحانه بعد ذلك بآيات : ﴿وَلَٰكِنَ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[2] . فلم يقل البر هو الإيمان والتقوى ؛ لأن الإيمان والتقوى كمعان مثالية موجوده وباقية ، وإنما الذى تحتاجه أمتنا من أجل رقيها وسعادتها هو الإنسان المؤمن ، والإنسان التقى .

وحتى نلتزم بسنة النبى ﷺ ، ولا نحيد عنها قيد شعرة نجد أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالتماس القدوة من نبيه ﷺ ، وحثنا على طاعته ، وجعلها مرتبطة بطاعته سبحانه . بل جعل الهداية والرشد فى هذه الطاعة .

فقال سبحانه : ﴿مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3] .

وقال جل شأنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[4] .

وقال عز من قائل : ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا﴾[5] .

كما قال : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ

---

(1) سورة البقرة/١٧٧ .
(2) سورة البقرة/١٨٩ .
(3) سورة النساء/٨ .
(4) سورة النساء/٦٤ .
(5) سورة الحشر/٧ .

ٱلْمُبِينُ﴾[1] .

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أوتيت القرآن ومثله معه** »[2] مهما تردد فيه من تردد فإنه حق لا ريب فيه ؛ لأن المِثْلَ الذى أوتيه رسول الله ﷺ هو السنة ، وهى حق القدوة وتقديم التطبيق .

والأحكام الجديدة التى نراها فى السنة ، ولا نراها فى الكتاب قد يتصور بعض الواهمين الذين ضعف اجتهادهم ، أو قصرت بهم أدواته أن لا يؤخذ بها ، وهذا خطأ فاحش لأن من التطبيق تتجسد أمور قد لا تدرك من أول وهلة فى نصوص الدستور ، لكن يكشف عنها التطبيق الرشيد .

فالنبى عليه الصلاة والسلام حين نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها كان يطبق القرآن تطبيقا سديدا ، وكذلك عندما نهى عن أكل ذى ناب من السباع ، وكل ذى مخلب من الطير ، وكذلك عندما قال : « **أحل لكم ميتتان ودمان** » وكذلك عندما أمر بضرب شارب الخمر ، أو جلده كان فى ذلك كله مع القرآن الكريم لم يخالفه ، ولم يزد عليه ، وحاشاه أن يفعل ذلك ، بل هو تصرف فى التطبيق لتتحقق حكمة الشريعة على الوجه الأكمل .

وهذا حق أعطاه الله تعالى لنبيه ، ندركه من هذه الصفة التى وصفه بها سبحانه ؛ إذ قال : ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ**

(١) سورة النور/٥٤ .
(٢) جزء من حديث شريف رواه البخارى

ٱلْخَبَآئِثَ﴾[1] وأسند الفعلين (يحل ويحرم) لرسول الله ﷺ .

فالذين تصوروا القرآن الكريم معزولا عن السنة يكفيهم ، عليهم أن يعرفوا أنهم سيغرقون فى بحار التطبيق ، المتلاطمة الأمواج ، وستتفرق بهم الأهواء ، وسنرى صورا شتى للامتثال للأمر القرآنى ، كما نرى صورا شتى للابتعاد عن النهى القرآنى .

ومن هنا اقتضت وحدة الأمة ، وحكمة المشرع ، وعظمة التشريع أن يُزَكى القائم بالتشريع . كما زكى التشريع ، وأن يختار القدوة فى التطبيق ، كما اختار الدستور الحكيم وجعل الإيمان مرتبطا بقبول حكم النبى ﷺ . وحكومته . فقال تعالى : **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**[2] .

وبناء على هذا فالقول بأن القرآن الكريم وحده هو مصدر الشريعة ، ولسنا فى حاجة إلى الحديث النبوى ، أو السنة برمتها ، وأن فى القرآن الكريم ما يغنى ، وأن الله ما فرط فى الكتاب من شىء هذا قول مرفوض شكلا وموضوعا ؛ لأنه بعيد عن الحق ، وبعيد عن القرآن ، وبعيد عن العلم ، وبعيد عن العقل ، والقائلون به متورطون فى ضلال عظيم ؛ لأن منهج الحق يؤكد أن من تلقى القرآن هو وحده الذى يملك التطبيق الصحيح . والقرآن يؤكد ضرورة طاعة النبى ﷺ ، والاقتداء به ؛ لأن هذا ـ وحده ـ طريق الهداية .

---

(1) سورة الأعراف/١٥٧ .

(2) سورة النساء/٦٥ .

والمنهج العلمى يؤكد أن عظمة الدستور فى تطبيقه .

والعقل يحتم علينا أنَّ التصوّر الرشيد ماثل فى فهم علاقة السنة الصحيحة بالقرآن علاقة وثيقة غير منفكة حتى يكون القرآن الكريم كما وصفه الله ﴿**تبيانا لكل شيء**﴾ ؛ لأنه عند التطبيق تتوقف التصورات المختلفة ، والظنون المتباينة حول النص القرآنى .

والحديث النبوى الشريف يمثل جانبا هاما من السنة ، وهى السنة القولية .

ولا تجد أمة من الأمم توفرت على الآثار القولية لرسولها مثلما فعلت الأمة الإسلامية ؛ إذ اتخذت منهجا طيبا فى التوثيق هو منهج الإسناد بتتبع أحوال الرواة العقلية والخُلُقِيَّة ، والحكم على مروياتهم من واقع ما عرف عنهم ، وقد يكون وراء الجهود العلمية المكثفة دوافع قوية على رأسها حركة الغزو الفكرى الذى استهدف المجتمع المسلم بعد أن غربت شمس الدولة الأموية ، بجانب حركة التزييف المتعمدة ، والمخطط لها لإفساد الحقائق العلمية الناصعة ، والتى ظهرت باسم الاسرائيليات .

وكان من نتيجة جهود العلماء عدد من العلوم النافعة التى تهدف إلى تمييز الصحيح من غيره ، مثل : علم الرجال ، والجرح والتعديل ، ومصطلح الحديث .

وقد خدمت هذه العلوم الحقيقة العلمية خدمة كبيرة ؛ إذ على ضوء جهدهم نستطيع أن نميز الصحيح من غيره ، وأن نقوّم كتب الحديث على ضوء مناهجها ، وعلى ضوء الشروط التى وضعها أصحابها فى قبول الحديث وتصحيحه . كما فعلوا فى تقديم الكتب

السنة على غيرها ، وقدموا البخارى لدقة شروطه التى وضعها فى قبول الحديث ، ودقته فى الجمع والتمحيص ، والتوثيق .

فنحن نقبل باطمئنان ما أسفرت عنه جهود العلماء .

فإذا صادفك حديث لم يستوعبه عقلك سلم الأمر فيه لله تعالى ، غير متهم للرواة ولا للمحدث الذى أخرجه ، مادام مستوفيا شروط الصحة ، وأنت بهذا الموقف لم تخرج عن ولائك للسنة النبوية ، والمرفوض رد الحديث مشككا فيه . والصحابه رضوان الله عليهم كانوا يتوقفون أمام بعض المرويات . وأئمة المذاهب فى الفقه الإسلامى أخذ بعضهم ببعض الأحاديث ولم يأخذ الآخرون بها ، ولم يكن هذا منهم تشكيكا فى السنة . ولا انصرافا عن العمل بها.

ومن الظواهر المعروفة فى علم الجرح والتعديل أن من علمائه من يقبل حديثا ، ومنهم من لا يقبله[1] .

لكن كل هذا لابد أن يتم على ضوء المنهج العلمى ، وفى ظلال القواعد الراسخة التى وضعها العلماء .

إن المتشككين فى السنة هم المستشرقون ومن والاهم من بعض المسلمين الذين خدعوا ببريق أوهام المستشرقين .

ومثل هؤلاء فى الضلال من يجرون وراء الأحاديث الموضوعة ، والواهية والشاذة التى وردت فى كتب الموضوعات وما شابهها ؛ ليدفعوا المسلمين إلى سلوك فى الدين لم يأذن به الله .

---

(١) راجع فى هذه القضية شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه : رفع الملام عن الأئمة الاعلام .

إن السنة النبوية الصحيحة بخير . وهى فوق الشك والتُّهم ، والإيمان بها لا ريب فيه ، ولكن الذى يضر بالقضايا العلمية أن يتدخل فيها الأدعياء ، فتتحول إلى يد غير العالمين بها ، والذين لا يعرفون عنها أكثر من الحماسة والعاطفة فيظنون أن الدفاع عن السنة يكون فى اتهام الناس بالباطل ، والحكم بالهوى ، وممارسة الأحقاد الباغية .

ونتيجة لهذا وجد من غير أهل العلم من رد بالمثل ، فأثار الشكوك بدون بينة أو دليل ، وسنة النبى ﷺ أكبر من هؤلاء ، وأولئك ، وهى حق لا يمكن أن ينال منه أى مشكك .

وثمة قضية هامة .

لقد توفرت أمتنا منذ زمن قديم على الحفاظ على تراثها اللغوى ، والأدبى ، والإخبارى ، واحتفت برواية الشعر ، ونصوص الأدب منذ العصر الجاهلى وسجلت أخبار القراء والخطباء ، ودونت الحكم والأمثال ، وما حدث فى أيامها وحروبها ، وكان لها من ذلك موروث عظيم ، وابتعت فى هذا كله منهج الإسناد والعنعنة . أفما كان من الأجدر بها ــ وقد فعلت ــ أن تحتفى احتفاء بالغا بحديث رسول الله ﷺ ، وهو بمنهجه الفريد فى التوثيق فوق كل شكوك .

ويصبح لزاما علينا وجديرا بنا أن ننظر لعملهم بإعجاب وإكبار باحثين عن مدى توافر شروط الصحة فيما نقل إلينا من أقوال الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم .

وكما أكد الله سبحانه حفظه لكتابه فقد حفظ سنة نبيه محمد

ﷺ أيضا ؛ إذ قيض لهذه الأمة رجالا علماء حفاظا ، ثقاة نقلوا هذه السنة بأمانة وتثبت ، وكشفوا الزيف ، وفضحوا الدخيل ، ومن هؤلاء الأئمة الستة وفى مقدمتهم : البخارى ومسلم ، وأئمة الجرح والتعديل .

كما يسر الله حفظها عن طريق أخصب حركة تشريعية فى تاريخ أمة من الأمم وهى حركة الفقه الإسلامى بمذاهبه المتعددة واتجاهاته المختلفة التى كانت فى جوهرها حركة اجتهادية واسعة فى إطار الكتاب والسنة ، وظهرت آلاف الكتب تسجل هذه الاجتهادات .

والدراسات اللغوية والبيانية اتجهت إلى الحديث الشريف بالبحث والدرس فكانت وسيلة ثالثة من وسائل الحفاظ عليه .

وأستطيع أن أقول فى نهاية هذا البحث ، ختاما لهذه القضية الهامة : إن الأمة تجاوزت مرحلة الاستدلال على حجية السنة ، ومن نافلة القول أن نثيره . أو أن نعيد القول فيه ، فقط علينا الآن أن نكشف الستار عن السنة الصحيحة ، وننبه إلى الزيف والدخيل ، وأن نعيدها إلى واقع المسلمين ليتخذوا منها القدوة والأسوة ؛ إذ هى أعظم موروث لأكرم مورّث ، شهد له وزكاه رب العالمين .

إن أمة الإسلام بخير مادام كتاب الله دستورها ، وسنة نبيه محمد ﷺ منهجها وقدوتها . وتراث أسلافها الصالحين وعلومهم معالم تهديها إلى الصراط المستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض ، وإلى الله تصير الأمور .

القضية الخامسة

الإسلام والشريعة الهادية

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾

(سورة الأحزاب/٣٦)

والقضية الخامسة ..

... نقدمها من خلال دراستنا للحقيقة الكبيرة: الإسلام .. دعوة الحق: هي أن الإسلام الشريعة الهادية للبشر، التى تقودهم إلى خير الدنيا والآخرة، وأن الالتزام به شريعة تنظم الحياة والسلوك لا يقل خطرا عن الالتزام به عقيدة توجه العقل، وتقوم الفكر.

والارتباط بين الإسلام العقيدة، والإسلام الشريعة جدُّ وثيق.

فهؤلاء الذين التمسوا التشريع من الأحبار والرهبان، معرضين عما لله من شريعة ونظام أخطأوا فى حق عقيدتهم، كما أخطأوا شريعة الله، ولأجل هذا قال ربنا تبارك وتعالى فى حق هذا النفر من أهل الكتاب: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[1] وما كان اتخاذهم لهم أربابا إلا باتخاذهم مشرعين لهم.

دخل عدى بن حاتم عند مقدمة المدينة على رسول الله ﷺ، وفى عنق عدى صليب من فضة. وسمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال ـ والكلام هنا لعدى ـ فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم»[2].

والإسلام دعوة الله تعالى ودينه الذى جاء به على امتداد التاريخ

---

(١) سورة التوبة/٣١.

(٢) رواه الإمام أحمد، والترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه، وراجع تفسير المنار جـ١.

١٨ . [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (1)

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(١) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

والزوجية ونحوهما .

لا ضرر ، ولا ضرار .

الأخذ بأخف الضررين بأن نقبل ضررا أقل من أجل رفع ضررا أكبر .

ما يوصل إلى الحرام نتوقف عنده ولا نقربه (سد الذرائع)

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

الضرورات تبيح المحظورات .

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

كل صلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، وحرم حلالا .

وهناك قواعد أخرى حفلت بها كتب الفقه وأصوله تبين إلى أى مدى اتسمت هذه الشريعة الهادية بالمرونة ، والعطاء المستمر للإنسان ليرشد ويهتدى ، ويسعد فى دنياه وفى أخراه ، وليتحقق له الأمن فى سربه ، والمعافاة فى بدنه ، والحب والود فى مجتمعه .

وقد انفردت شريعة موسى عليه السلام بتحليل وتحريم على غير الأسس السابقة وسبب ذلك ما عرف به مجتمع بنى إسرائيل من التمرد والشراسة ، والتحايل على شريعة الله ، ومن أجل هذا حرم الله عليه بعض الأشياء ، لا لأنها خبيثة . ولكن تأديبا لهم وتقويما لسلوكهم المعوج فى علاقاتهم بالله وبالناس ، وهذه الأمور التى حرمت على بنى إسرائيل عقوبة أشارت إليها الآية الكريمة : ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ** ،

ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَاِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [١] .

وقد أشار الله تعالى إلى هذه المحرمات تأديبا فى آية أخرى فقال : **﴿وَعَلَى اَلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوآ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [٢] .

كما قال تعالى : **﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ اَلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ ...﴾** [٣] .

وهذه المحرمات هى المعروفة بالآصار والأغلال والحرج ، وقد أشارت إليها آية الدعاء التى ختمت بها سورة البقرة : **﴿لاَ يُكَلِّفُ اَللهُ نَفْساً اِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَاكَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِينَا اَوْ اَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاَعْفُ عَنَّا وَاْغفِرْ لَنَا وَاَرْحَمْنَا ، اَنْتَ مَوْلٰينَا فَانْصُرْنَا عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكَافِرِينَ﴾** [٤] .

النصوص التى تسند إليها هذه الأصول .

هذه الأصول التى أثبتنا جانبا منها ، وقلنا إنها تتلاقى عندها شرائع الله على اختلافها لا نجد مشقة فى التماس النصوص التى نبعت منها ، وقامت عليها ، وهى لا تخرج عن دائرة الكتاب العزيز ، أو السنة الصحيحة .

---

(١) سورة الأنعام/١٤٦ .
(٢) سورة النحل/١١٨ .
(٣) سورة النساء/١٦٠ .
(٤) سورة البقرة/٢٨٦ .

وسأقدم طرفا من هذه النصوص التى تعد سندا لهذه الأصول .

من ذلك قوله تعالى :

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ..﴾[1] .

﴿اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطيِّبَاتُ ..﴾ .

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ﴾[2] .

﴿يُرِيدُ ٱللهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3] .

﴿مَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾[4] .

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[5] .

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِٱللهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا﴾[6] .

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله : **﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾**[7] .

« **الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات** »[8] .

ومن الأصول التى ذكرت ما هو نصوص لأحاديث صحيحة ومتفق عليها .

كيف التقت شرائع الله على هذه الأصول ؟

---

(١) سورة المائدة/٤ ـ ٥ .

(٢) سورة الأعراف/١٥٧ .

(٣) سورة البقرة/١٨٥ .

(٤) سورة المائدة/٦ .

(٥) سورة البقرة/١٧٣ .

(٦) سورة البقرة/٢٥٦ .

(٧) سورة الإسراء من ٢٣ ـ ٣٨

(٨) رواه البخارى عن النعمان بن بشير

أما التقاء شرائع الله على هذه الأصول ، مع الاستثناء الذى ذكرناه ، وبينا مغزاه فهذا الالتقاء تؤكده هذه الآيات البينات ، المتتابعات ، يقول جل ذكره :

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ، فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ . وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [١] .

بجانب ما تكشف عنه هذه الآيات من التقاء شرائع الله على

(١) سورة المائدة من الآية ٤٤ ـ ٤٨ .

منهج الهداية والنور ، والموعظة الحكيمة ، والإرشاد القويم ، وبجانب ما تدفع به هذه الآيات كل مخاصم لحكم الله وشرعه بصفات الكفر والظلم والفسق فإنها تقدم لنا عددا من الحقائق الناصعة .

● تعدد شرائع الله لاختلاف الظروف التى مرت بها الإنسانية عبر تاريخها الطويل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) .

● كان يمكن أن يكون البشر على سمت واحد فى الظروف البيئية : زمانية ومكانية ، وفى الخصائص النفسية ، ولكن اقتضت حكمة الله أن يختلفوا فى ذلك كله ، ليتحقق معنى الابتلاء فى الحياة الذى هو إحدى مهام الإنسان فى الدنيا .

● الشريعة التى جاء بها النبى محمد ﷺ هى خاتمة الشرائع . ومن أجل ذلك أعطيت حق الهيمنة .

والهيمنة بمعنى الإشراف الدقيق على الكتب السماوية السابقة التى أمرنا بالإيمان بها ، مع الاحتواء لها ، وضبط ما شرع فيها .

وهذا الإشراف يقتضى كشف الزيف ، وبيان الدخيل ، ورفع الغطاء عن التدليس ، والتلبيس الذى تورط فيها أهل الكتاب عندما دونوا التوراة ، وجمعوا أسفارهم ، وعندما جمعوا الأناجيل ، وكتبوها مروية عن الحواريين تلامذة المسيح عليه السلام .

لقد اختلطت شروحهم ، وتعليقاتهم بالنصوص الأصلية التى لم تسلم هى الأخرى بحكم تقادم العهد من التزيد .

وظهر هذا التزيد والتمويه واضحا فى مجال القصص

والأخبار (١) .

ومن هنا برزت هذه المهمة الكبيرة للقرآن الكريم فى كشف هذا كله . والتى تعد إحدى صور الهيمنة . يقول تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢) .

وهناك صورة أخرى للهيمنة ، تظهر فيما يعرف « بالنسخ » .

ومن القواعد التى قررها الفقهاء : شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ بكتاب .

والنسخ استبدال أحكام جديدة بأحكام سابقة ؛ لأن الأولى تواكب المجتمع الإنسانى الذى أعد فى أرض جزيرة العرب لتلق الرسالة الخاتمة الباقية .

فلابد أن تنتهى التشريعات التى فرضت على السابقين لتكون عقابا لهم ، لا لتكون نظاما مستمرا فى الحياة ، كما قال ربنا : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ باعتبار هذا أحد أهداف الشريعة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام .

وتغيرت بعض هيئات العبادات وأشكالها للغاية السابقة نفسها .

وتغيرت بعض تشريعات العلاقات الإنسانية للسبب نفسه .

لكن الأصول والأهداف التشريعية التى وراءها والتى ترمى إلى رعاية الإيمان ، وصيانة العقيدة ، وتحقيق السمو الإنسانى إلى

---

(١) راجع كتابنا : بنو إسرائيل فى القرآن
(٢) سورة النمل/٧٦ .

أقصى غاية ممكنة لم تتغير.

ولكى يقوم القرآن الكريم بهذه المهمة ، وهى الهيمنة على الكتب السماوية السابقة ، والإمساك بزمام التوجيه على درب الإنسانية حتى تقوم الساعة ؛ اختصه الله تعالى بهذه الأمور .

أولها : فى أسلوب نزوله . وتلقى النبى عليه الصلاة والسلام له بقلبه ، وتبليغه لصحبه ، ثم تدوينه . وتنفيذه فور نزول ما يقطع شك كل مرتاب ، ومن هنا أكد القرآن الكريم فى أكثر من موطن أنه لا ريب فيه ، وأنه نزل بالحق . وقد عالجنا هذه القضايا معالجة شاملة عند حديثنا عن كلمة « الحق » فى القرآن .

وبهذا اكتسب منذ نزول آياته الأولى تواترا بعيد المدى يدحض الشُّبهَ والشكوك ويتصدى أبو بكر رضى الله عنه لجمع آياته فى مصحف واحد عن طريق الحفاظ الذين سمعوا رسول الله ﷺ ، وسمع منهم مع ما تجمع لديهم من الرقاع المكتوبة[1] .

ويأتى عثمان عليه السلام . فيخبره حذيفة بن اليمان الذى جاء من خط المواجهة فى أرمينية باختلاف الناس فى القراءة اختلافا يخشى منه على الكتاب العزيز . فأمر عثمان جماعة من الصحابة على رأسهم زيد بن ثابت أن ينسخوا من مصحف أبى بكر عدة مصاحف يقرها هؤلاء الصحابة القراء بإجماع ، وتوزع على الأمصار الإسلامية ، وأمر يحرق ما عداها من المصاحف ، وأن يرسل مع كل مصحف صحابى قارئ ليكون مرجعا للناس فى المصر الذى هو

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٧ دار المعرفة بيروت .

فيه ، فلا يختلف الناس بعد هذا فى شيء من كتاب ربهم .

وأصبح مصحف عثمان رضى الله عنه إلى الآن إماما لكل مصحف ، بل إنه أصبح شرط قبول القراءة أن تكون موافقة لرسم المصحف العثمانى [1] .

ومرت أربعة عشر قرنا أو يزيد ولا تجد شذوذا ، ولا انحرافا ، ولا تغييرا ، برغم هذا المدى الطويل ، وأى محاولة للتغير يفتضح أمرها ، وينكشف سترها ، وهذه عناية إلهية اختص بها رب العزة كتابه الحق الذى يحمل بين دفتيه شريعته الباقية **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [2] .

ثانيها : احتفاؤه بالقواعد العامة ، المحكمة ، الضابطة ، أكثر من القوالب الجزئية المحدودة التى تحد من اجتهاد المؤمنين الصادقين .

وعلى سبيل المثال : الحلال والحرام فى قضية الطعام والشراب .

لقد حرم الله بعض الطعام والشراب . وأحل بعضه على أساس أن الأول خبيث ، والثانى طيب ولا يباح من الخبيث شيء إلا عند الضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها .

وبجانب هذا يعطى قاعدة محكمة ، يترك تطبيقها للمؤمن ، يرعاه ويحرسه عند التطبيق إيمانه وتقواه وإحسانه ، فيقول تعالى : **﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا**

---

(١) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى جـ١ .

(٢) سورة الحجر/٩ .

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] .

فهذا الاجتهاد ـ بما يمنحه للبشر المتفقعين بالتشريع فى إطار القواعد العامة ـ يكسب التشريع خصوبة ، ومرونة ، وسدادا ، وقدرة على علاج ما يواجه الإنسان من مشكلات .

ثالثها : الاهتمام بحكمة التشريع التى تمنح الناس ثقة فى شريعة ربهم ، وهى تدور حول إصلاح الإنسان ، وصلاح المجتمع ، والاتجاه بهما نحو الاستقامة والرشد .

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2] .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[3] ؟

رابعها : شمولها لكل ما يحتاج إليه الإنسان فى علاقته بأسرته وبمجتمعه ، وبولاة أمره . كما تشمل كل العلاقات التى تربط المجتمع المسلم بغيره . وبذلك غطى كل ما للإنسان وللمجتمع الإسلامى من حاجات ومطالب يصح بها شأنه ، ويستقيم بها أمره .

الخصائص العامة للشريعة الهادية :

وإذا كانت شريعة الله فى القرآن الكريم ، والتى حولها رسول الله

(١) سورة المائدة/٩٣ .
(٢) سورة الإسراء/٩ .
(٣) سورة المائدة/٩١ .

ﷺ فى سنته الراشده الهادية إلى واقع وعمل وتطبيق حتى كان كما وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها «كان خلقه القرآن» قد اكتسبت هذه الخصائص السالفة التى أعطتها حق الهيمنة ، وجعلتها وحدها أولى بالاتباع من كل مقتصد منصف فإنها مع هذا قد وعت الخصائص التى تتميز بها الشريعة الإلهية بعامة على اختلاف الرسالات التى حملتها .

وفى مقدمة هذه الخصائص .

● ارتباط الأحكام بالعقيدة .

فشريعة الله إذا أمرت ، أو نهت ، أو أحلت ، أو حرمت ، توجه الدعوة للمؤمنين ، وتذكر بها المتقين والمحسنين ، وبهذا تكتسب أحكام الله ضمانا قويا للتنفيذ . وحراسة صارمة من داخل الفرد للمؤمن تمنعه من التحايل والتلاعب .

وبجانب هذا التحذير من عواقب التضييع فى الدنيا والآخرة .

لكن الأولى هى الأساس .

وهذا أمر لا يتوافر فى الشرائع الوضعية التى تجعل ضمان التنفيذ هو مجرد العقوبة المادية مما يسهل الحيلة لكل محتال .

● العدالة المطلقة .

وذلك لأن المشرع الحكيم هو الله ، المعبود بحق ، رب هذا الوجود ، فهو فوق الأهواء والميول والنزعات ، ونحوها من الآفات التى تصيب البشر .

كما أنه فوق خصائص الزمان . وفوارق المكان ، ومن هنا كانت شريعته سبحانه صالحة لكل زمان ومكان .

● الإنسان جزء من هذا الكون الكبير.

ولذلك شرع الله له كل ما هو فى حاجة إليه.

على أساس أنه إنسان كرّمه الله على كثير ممن خلق، وحمله مهمة كبيرة؛ ولأجلها سخر له ما فى السموات، وما فى الأرض، وحمله فى البر والبحر، ورزقه من الطيبات.

وأنه بإيمانه لله وحده تكتمل كرامته وسيادته.

ولابد له أن يعرف طبيعة العلاقة بينه وبين الأمم الحية التى تعيش معه.

قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فى الْأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فى الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1].

وهذه الآية تشير بوضوح إلى مدى ضلال الإنسان وتخبطه عندما يجهل طبيعة العلاقة بينه، وبين الكائنات من حوله، وحسبه هذا الوصف (صم وبكم فى الظلمات).

ولأجل هذا كله أعنى الخصائص العامة لشريعة الله، والخصائص الخاصة بالشريعة الخاتمة المهيمنة كان الالتزام بها، والوقوف عند حدودها واجبا، يفرضه الإسلام، ويلزم به الإيمان.

لأن من أبرز صفات الإيمان المسلم، أو الإسلام المؤمن الثقة

---

(١) سورة الأنعام/٣٨، ٣٩.

التامة فيمن آمنت به ، وأسلمت له وجهك وعبادتك بأن ينشأ فى أعماقك يقين قاطع بأن أمر الله هو الحق ، وحكمه هو العدل ، وشريعته هى الهدى .

وأن سعادة البشر فى الاستمساك بها ، وخسرانهم فى التخلى عنها .

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ اِنَّا لاَ نُضِيعُ اَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١) .

والعمل بشريعة الله أمانة فى عنق كل مسلم ، بل إن أمر الإيمان الصادق متوقف عليها . ولا يتم فى غيبتها **﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى اَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** (٢) .

فلا يكفى ــ لكى تكون مؤمنا صادقا ــ أن تحكم الرسول القائم على تنفيذ الشريعة ﷺ .

بل لابد أن ينتفى من نفسك تماما الإحساس بأى ريبة فى عدالة هذا الحكم والتسليم المطلق الذى لا مراجعة معه .

وأمام قانون الإنسان لك المراجعة . وبيدك الخيار .

حتى ما ينتهى إليه اجتهاد المؤمنين الصادقين يؤخذ منه ويرد .

وإزاء شريعة الله الذى آمنت به لا مراجعة ولا اختيار .

حتى كان من أصول أهل الفقه : لا اجتهاد مع النص .

يقول تعالى : **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ اِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ**

---

(١) سورة الأعراف/١٧٠ .

(٢) سورة النساء/٦٥ .

أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[1] .

ومن الجاهلية الطاغية أن تستبدل بشريعة الله شرع غيره .

بل إنها فى الوقت نفسه حماقة غالبة إذ نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2] ؟

ولا يرفض شريعة الله إلا منافق .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾[3] .

وبعد هذا العرض تتضح جوانب القضية .

الإسلام بعقيدته القويمة الراسخة يحتم العمل بشريعته الهادية .

---

(1) سورة الأحزاب/٣٦ .
(2) سورة المائدة/٥٠ .
(3) سورة النساء/٦١ .



القضية السادسة

الإسلام والإيمان بالسنن الكونية

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

(آل عمران الآية ١٣٧)

أقام الله تبارك وتعالى الكون العظيم على قوانين ثابتة لا تتخلف .

وثبات هذه القوانين التى تحكم مسيرة الكون وما فيه ومن فيه قضية أكدها القرآن الكريم فى أكثر من موضع .

فمن القوانين التى تحكم مسيرة الكون وحركة الكائنات هذه الآيات الكونية التى ذكرها القرآن الكريم . وأشار إلى اثباتها واستمرارها برهانا على عظمة الخالق ، وبديع صنعه يقول تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ . وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ كَالْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ . لاَ ٱلشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا اَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (١)

ويقول سبحانه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢)

وكل ما فى القرآن من حديث عن الكون ، وآثار قدره الله فيه يؤكد قيمة هذه السنن الكونية وثباتها ورسوخها .

كما أشار القرآن الكريم إلى سنن الله الكونية فى الانسان وعلاقته بأخيه الإنسان وبالحياة والأحياء من حوله .

ومنها ضرورة العقبات والمصاعب التى تواجه الرسل فى طريق الدعوة .

وقد ذكر بها رب العالمين نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بها فقال : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً . سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا

---

(١) سورة يس/٣٧ - ٤٠ .
(٢) سورة القمر/٤٩ .

﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [1]

كما قال له وقد أحس حرجا فى تنفيذ أمر من أوامر ربه . وهو زواجه بزينب إبنة عمته ﴿مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [2]

فهذا قانون إلهى كونى يحكم سياسة الرسالات ، وأن الحرج لا يمنع الرسول من تنفيذ تشريع لا بد أن يكون فيه قدوة .

ومن سنن الله وقوع اللعنة على الكافر والمنافق ، وحلول عذاب الدنيا والآخرة عليهما ؛ إذ يقول تعالى : ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [3]

كما يقول تعالى : ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَافِرُونَ﴾ [4]

ولقد بين رب العالمين أن سننه فى الكون ، وقوانينه التى تحكم مسيرته ستظل وسائل تذكير وتحذير ، تنبيها للغافل ، وإرشادا للضال حتى يتعرف على الحق ، فيؤمن ويهتدى أو يصر على غفلته وجهالته فيظل على ضلاله وانحرافه .

فقال تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا

---

(١) سورة الإسراء/٧٦ ، ٧٧ .
(٢) سورة الأحزاب/٣٨ .
(٣) سورة الأحزاب/٦٣ ، ٦٤ .
(٤) سورة غافر/٨٥ .

وَمَاربُّك بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]

كما يقول سبحانه : **﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾**[2]

هذه القوانين والسنن الكونية التى أكد القرآن الكريم ثباتها ، وأنه من غير المستطاع تبديلها وتحويلها نشير هنا إلى أن الإيمان بها ضرورة محتومة .

ومن عظمة الإسلام الدين الحق أنه طالب بالإيمان بها ؛ لأن الإيمان بها جزء لا يتجزأ من إيمانك برب هذا الوجود ومدبر أمره . فسنته فى الكون ، ومنهجه فى الدين سواء وقد أشارت الآية الأخيرة إلى أن معرفتها طريق إلى استبانة الحق .

والايمان بهذه السنن ، واحترام حركتها وثباتها أعظم ما يقوم السلوك الدينى للإنسان ، ويثبته على الجادة ، ومن الخطأ البيّن الفصل بينها .

ولأجل هذا عندما اشتد حزن النبى الكريم لإعراض قومه وتكذيبهم ، قال له رب العالمين مبيناً له سنته ليكون على علم بها على نحو ما رأينا فى آية الإسراء ، وكما جاء فى قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَـٰهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ ٱللهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِنْ نَبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ. وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى**

(١) سورة النمل/٩٣ .
(٢) سورة فصلت/٥٣ .

ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾(١)

إن فى هاتين الآيتين درسا عظيم الشأن فى السنن الكونية فكلمات الله التى لا تتبدل هى قوانينه التى تحكم هذا الوجود.

ثم تواجه الآيات رسول الله ﷺ مواجهة شديدة إن ضيع وقته فى الحزن على أمر لا يملك تغييره، وهو من سنة ربه التى لا تتبدل، فتقول له الآيات: تصرف أنت فى تغيير السنين إن استطعت حتى يفىء قومك إلى الرشد الذى ترجوه لهم.

ومن أجل هذا، نتيجة لهذه الدروس الإلهية الحكيمة التى أخذ بها رب العالمين رسوله إتجه النبى عليه الصلاة والسلام إلى أمته يعلمها متى واتته الفرصة احترام هذا القوانين ليفوزوا ويسعدوا.

جاءه مرة اعرابى حديث عهد بإسلام، وأراد النبى ﷺ أن يعطيه درساً مفيداً يعلمه فيه بُعْداً هاما من أبعاد الدين الحق، فسأله: أين تركت ناقتك؟ فقال: تركتها بباب المسجد وتوكلت على الله، فقال له: أعقلها وتوكل.(٢)

فبين النبى عليه الصلاة والسلام أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله.

دعا النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى العمل والسعى، وحذرهم من البطالة والكسل وسؤال الناس، وقال لهم: «**لأن يحمل أحدكم حبله فيحتطب فيبيع بدرهم أو درهمين خير له من أن**

---

(١) سورة الأنعام/٣٤، ٣٥.

(٢) أخرجه الترمذى ـ كتاب القيامة ـ باب ٦٠.

يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[1]

دعاهم إلى التماس الدواء من المرض ، وعرفهم أن الله سبحانه خلق الداء وقال : «**يا عباد الله تداووا فإن الله خلق الداء والدواء**»[2] .

ودعا إلى الأخذ بأسباب الوقاية ، والبعد عن مسببات الأمراض ، أو ما يسمى فى العصر الحديث «بالحجر الصحى» فقال[3] : «**إذا ظهر الطاعون فى بلد وأنتم فيها فلا تخرجوا منها . وإن ظهر وأنتم خارجها فلا تدخلوا فيها**» .

ويروى ابن عباس ما حدث من عمر بن الخطاب عندما كان متجهاً للشام ، وتوقف عند سَرْغ[4] لما علم بوجود الطاعون . واستشار المهاجرين والأنصار واختلفوا فى الأمر ، واستشار من كان موجوداً من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فأشاروا بالرجوع . فأمر بالرحيل صباحا ، فقال له أبوعبيدة : فرارا من قدر الله ، فقال عمر رضى الله عنه : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، وكان يكره خلافه : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياله عدوتان : إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعت الخصبة رعتها بقدر الله ، وإن رعت الجدبة رعتها بقدر

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه ـ باب الطب وفى مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ١٥٦ .

(٣) متفق عليه من حديث عبد الرحمن بن عوف . ومتفق عليه أيضا من حديث أسامة ابن زيد .

(٤) سرغ مكان على بعد ثلاثة عشرة مرحلة من المدينة على طريق الشام

الله ؟ ! ! ! ثم جاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيباً وذكر الحديث المشار إليه ، فحمد الله تعالى عمر وانصرف[1]

وحسبنا فى هذا المجال توجيه رب العالمين : **﴿وَلاَ تُلْقُوا بِاَيَدْيكُمْ اِلَى اَلتَّهْلُكَةِ وَاَحْسِنُوا اِنَّ اَللهَ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ﴾**[2] إذ نرى فى الآية درساً فى الايمان بالسنن وأخذ الأسباب .

وعلى طريق تربية المسلمين على الإيمان بالسنن الكونية نرى الرسول عليه الصلاة والسلام يتصدى لحرب الأوهام والدجل والخرافات التى تعيق حركة الناس ، وتخلد بهم إلى القعود والكسل ، والاستنامة إلى الشعوذة .

يقول عليه الصلاة والسلام : «**لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر وفرّ من المجذوم كما تفر من الأسد**» (رواه البخارى)

يحذر النبى عليه الصلاة والسلام من الإيمان بتأثير العدوى بذاتها ، وليس فى هذا أنه يهوّن من الوقاية بدليل أنه فى آخر الحديث أمر بالفرار من المصاب بمرض الجذام كما يحذر من التطير ، وهو نوع من التشاؤم .

كما بين خرافة الهامة ؛ إذ كان العرب يظنون أن القتيل يخرج له طائر يسمى الهامة تلف حول قبره ، ولا تهدأ حتى يؤخذ بثأره وتشرب من دم قاتله قال ذو الأصبع القدْوانى

يا عمرو الا تدع ذمى ومنقصتى   اقتلك حتى تقول الهامة اسقونى

فذكر النبى ﷺ أن ذلك خرافة ولا أصل له .

---

(١) متفق عليه . وراجع رياض الصالحين ص ٨٧٥

(٢) سورة البقرة/١٩٥ .

وكانوا يتشاءمون من دخول شهر صفر فبين لهم النبى ﷺ أن ذلك خرافة أيضاً .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل** ، **وقالوا . وما الفأل ؟ قال : كلمة طيبة**»[1]

وعن قبيصة بن المخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**العيافة**[2] والطيرة والطرق[3] من الجبت»[4] (رواه أبوداود باسناد حسن)

كما روى أن رسول الله ﷺ قال : «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء . فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما**»[5]

وهكذا سد رسول الله ﷺ كل منافذ الجهل والخرافة حتى لا يخلص منها شيء إلى أمة الحق والعلم والهداية والبصيرة .

وقد كان النبى ﷺ يؤمن ايمانا عميقاً بالسنة الكونية وظهر ذلك فى سلوكه أمام كبار الأحداث وفى المعارك التى خاضها ضد جيوش الباطل .

من ذلك مثلاً ما فعله فى الهجرة من إخفاء خبرها ، ومبيت على على فراشه ، والتخفى فى الغار لمدة ثلاثة أيام ، والاتجاه جنوبا مع

---

(١) هذا الحديث متفق عليه والمقصود « بلا عدوى » يعنى أنها غير مؤثرة بذاتها .
(٢) العيافة الخط ، وهو لون من التكهن والرجم بالغيب .
(٣) والطرق : أى زجر الطير فإن طار يمينا يتمن به ، وإن طار يسارا تشاءم .
(٤) الجبت : قال الجوهرى فى الصحاح : الجبت كلمه تقع على الساحر والكاهن والصنم .
(٥) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ .

أن الطريق إلى يثرب شمالا . واعداد الرواحل واختيار الدليل الأمين العارف بالطريق .(١)

ولأجل هذا نجحت الهجرة تماما وبطل كيد قريش .

وكان إذا خرج إلى غزوة وَرَّى بغيرها .

وفى غزوة بدر أخذ بكل الأسباب المؤدية للنصر ، جمع كل ما يملك من عدة وعتاد وجنود ، واختبر إيمان أصحابه المهاجرين والأنصار بالمعركة ، ومدى اقتناعهم بها ، ثم استشارهم فى كل شيء وغير مكان الجيش بعد مشورة حازمة من الحباب بن المنذر .

وجمع كل ما يمكن جمعه من أخبار عن جيش قريش .

ثم صف الصفوف بنفسه ورتبها ترتيباً عسكرياً محكماً ، لم تعرف العرب مثله من قبل .

وبعد هذا كله رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض ، اللهم أنجز ما وعدت ..(٢)

لقد أخذ بالأسباب ، ثم توكل على الله فكان النصر .

وسيظل قانون النصر لهذه الأمة رهنا بهذين الأمرين .

وقد تلقى المسلمون دروسا مؤثرة ، وبالغة الصعوبة على طريق الإيمان بالسنن الكونية .

ففى غزوة أحد نسوا سنة كونية من شأنها أن تسهم فى تحقيق النصر ، وهى ضرورة الالتزام بطاعة القائد فى المعركة .

لقد أمر رسول الله ﷺ الرماة أن يركبوا ظهر الجبل ، ولا

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ ١ .
(٢) راجع اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، حـ ١ . وسبيل الاهدى والرشاد جـ ١ .

يبرحوه ولو هزم المسلمون عن آخرهم .

وبدأت المعركة ، ولاحت تباشير النصر ، فنسوا الأمر ، ونزلوا يجمعون الغنائم ، فرآها خالد بن الوليد وكان إذ ذاك مع قومه ــ فرصة سانحة فركب مع جماعة من الفرسان ظهر الجبل ، ووقع المسلمون بين نارين ، وتغير الميزان لصالح المشركين ، وسقط من المسلمين سبعون شهيداً ، وجرح رسول الله ﷺ [١] .

ونزلت ستون آية من القرآن الكريم تعاتب المسلمين فى أمور كثيرة ، ومنها نسيان السنن الكونية ؛ إذ قال تعالى : **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ . هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [٢]

كما ذكرتهم بسنة أخرى هى منهج الحياة وتقلب ألوانها ، وأنها دول فقال سبحانه : **﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾** [٣]

وأيضاً الابتلاء سنة أخرى من سنن الله لا بد أن يوطن المؤمنون أنفسهم عليها : **﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾** [٤]

كما عاتبت الآيات من ألقوا السلاح منهم عندما سمعوا أن رسول

---

(١) راجع مختصر سيرة ابن هشام ــ عبد السلام هارون .

(٢) سورة آل عمران/١٣٧ .

(٣) سورة آل عمران/١٤٠ .

(٤) سورة آل عمران/١٤١ .

الله ﷺ قد قتل . وقالوا : لم نقاتل إذن ؟ فقال لهم رب العالمين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ اِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ اَفَائِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلٰى اَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى ٱللهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾ (١)

أما فى حنين فكان للمسلمين درس آخر

لقد كانوا كثرة فى العدد والعدة حتى قال بعضهم : لن نغلب اليوم عن قلة ! !

وكانت النتيجة أنهم وهم فى الطريق إلى ثقيف انقض عليهم بالسهام بعض الرماة من أطراف الجبال فولوا الأدبار .

ثم نادى فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام فاجتمعوا مرة أخرى ، وتحقق لهم النصر ، لكن الله عاتبهم ، وذكرهم بالدرس .

وكان فى هذا المرة يدور حول قانون آخر هو أن النصر من عند الله ، ولا ينبغى للمجاهد أن يغتر بكثرة العدد أو العدة ؛ لأن هناك أمرا هاما لا تغنى عنه العدة ولا العدد ، وهو التوكل على الله ، وطلب النصر منه ؛ إذ لا بد أن يتعانق الإيمان القويم بالله مع الايمان لسننه فى الكون والحياة فقال تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ اِذْ اَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ . ثُمَّ اَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَاَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ﴾ (٢)

---

(١) سورة آل عمران/١٤٤

(٢) سورة التوبة/٢٥ وراجع سيرة ابن هشام جـ ٤ .

ولقد سار الصحابة الأبرار على منهج الإيمان بالسنة الكونية ، فأخذوا بأسباب القوة كما أمر الله **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** (١)

كما أخذوا بأسباب الجد والعمل والسعى ، فحاول أبوبكر عندما بويع بالخلافة أن يستمر فى تجارته ، لكن منعه أصحاب النبى ﷺ ليتوفر على أمور المسلمين ، وجعلوا له عطاء فى بيت مال المسلمين .

كما مهر المسلمون فى التجارة ، وبرزوا فى ميادينها بصدقهم وأمانتهم ، كما برزوا فى أعمال أخرى قاموا بها طلباً للرزق ، وتنفيذاً لأمر الله تعالى : **﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** (٢)

وكان عمر رضى الله عنه يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، وهو يقول : اللهم أرزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

ثم أخذ المسلمون بأسباب العلم والمعرفة ، ودونوا علوما تضبط لسانهم العربى ، كما تحوى معارفهم الاسلامية .

واستفادوا من الثقافات الأخرى النافعة ، وبرزوا فى علوم الكون من الرياضيات ، والكيمياء ، والفيزياء وقطعوا شوطاً بعيد المدى فى الطب والهندسة وافلك ، فآل إليهم زمام العلم ، وقصدهم

---

(١) سورة الأنفال/٦٠ .

(٢) سورة الملك/١٥ .

طلابه من المشارق والمغارب ولاتزال أوربا تذكر جامعات المسلمين فى الأندلس التى تتلمذوا عليها ، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وفتحت لهم الطريق إلى الحضارة الحديثة .[٢]

كل هذا حدث على امتداد التاريخ الإسلامى المشرق

وإذا سألت عن السبب فستجد إجابة واحدة لن تختلف

إنهم آمنوا بالله ، فقوى بالإيمان يقينهم ، واستنارت بصيرتهم وصدق تصورهم ، وآمنوا بسنن الله فى الكون والحياة ، واحترموها ، وأخذوا بالأسباب فانكشف لهم الخفى من قوانين رب العالمين ، ودانت لهم الحياة .

ثم سلموا الزمام لغيرهم . وناموا ، ولدعة الغفلة استناموا ، وخدعوا بمثل قول هذا الأحمق من الشعراء من نتاج عصور الضعف والتخلف :

جرى قلم القضاء بما يكون   فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق   ويرزق فى غشاوته الجنين

إنه ضلال الغفلة ، وتفكير المتخلف ، وعزيمة القاعد الواهن ، ولم يكن ولن يكون هذا سمت المسلم أبدا أو سمته .

ولو وجد فى عهد عمر وقال مقالته الآئمة لأوجعه بدرته .

وهكذا ينكشف آخر مَعْلَم من معالِم الدين الحق ، وهو أنه دين الإيمان بالسنن والقوانين الإلهية التى تكسب العزة والقوة والكرامة .

---

(١) راجع تاريخ الحضارة العربية لجوستاف لوبون

أليس بعد هذا من حقنا أن نقول : إن الاسلام هو دعوة الحق ..

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل ...

الخـاتمـة

﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضيتُ لَكُمُ الاِسْلامَ دينًا﴾

(سورة المائدة/جزء من الآية الثالثة)

الخاتمة

وماذا بعد ؟

هذه الرحلة التى طوفت فيها فى رحاب الكتاب العزيز بجانب ما تيسر لى من مراجع ومصادر من تراثنا العريق ، استهدفت فيها الكشف عن جوانب حقيقة ، عظيمة الشأن :

« الإسلام ... دعوة الحق »

فهل بلغت ما أردت ؟ !

قد تكون الإجابة من حق القارئ الذى يقع هذا الكتاب بين يديه فهو يملك التقويم والحكم بقدر ما أتيح له من إدراك صحيح ، وفهم واع لدينه الحق .

لكن الذى عاش الرحلة ، وواجه صعابها ، وخاض التجربة من حقه أن يقول شيئا عما انتهى إليه بحثه .

إن هذا البحث اعتمد على القرآن الكريم اعتمادا يكاد يكون تاما بجانب الأحاديث الصحيحة الكاشفة لكثير من أهداف الكتاب . وما كانت المراجع الأخرى المتعددة إلا من أجل تقديم معارف مساعدة لتجلية الحقيقة العظيمة .

ونحن نعرف أن كل علم وضعت أصوله ، وكل كتاب دون إنما كان من أجل القرآن الكريم ، وفى رحابه ، ولخدمة أهدافه .

وهذا فى تقديرى يكسب العمل قيمة .

فمادام مصدرنا الأوثق هو الكتاب الحق ، فلن يوصلنا لغير الحق .

ولقد استبان لنا من دراسة كلمتى : الإسلام والحق فى القرآن الكريم أنهما تلاقيا فى حقائق لا تختلف ، وتطابقا واقعا ، وتطبيقا ، ونتيجة بالرغم من اختلاف مدلولهما اللغوى .

لقد التقيا حول حقائق الدنيا والآخرة .

كما التقيا حول مطالب الدين ومطالب الحياة التى لا تنتهى .

إن كل حق تتصوره العقول الراشدة ، وتعمل له ، وتسعى إليه موجود فى رحاب الإسلام وفى ظلال تشريعاته .

وكل توجيه إسلامى للفرد ، أو للأسرة ، أو للمجتمع للحاكم أو للشعب .

فى علاقتك بالله ، أو بالكون ، أو بالناس .

يصيب كبد الحقيقة ، فلا يتجاوزها ، ولا تفلت الحقيقة منه ولأجل هذا قال رب العالمين **﴿إِنَّ الدِّين عِنْدَ اللهَّ الأسلام﴾** .

كما قال سبحانه : **﴿وَمَن يَبتغِ غيرَ الإسلام دينا فلن يقبلَ منه وَهُو فى الآخرةِ مِن الخاسِرين﴾** .

ومن هنا صح لى بعد الرحلة الطيبة أن أقول :

الإسلام ... دعوة الحق .

ولا أظن أنى خالفت عن الحق فى شىء .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المعتز بالله وحده

د . السيد رزق الطويل

أهم مراجع البحث ومصادره

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب التفسير وعلوم القرآن .

تفسير ابن جرير الطبرى .

تفسير القرطبى .

تفسير الكشاف ـ **الزمخشرى** .

تفسير المنار ـ **السيد رشيد رضا** .

النشر فى القراءات العشر ـ **لابن الجزرى** .

فى علوم القراءات ـ مدخل ودراسة وتقويم ـ **د . السيد رزق الطويل** .

بنو إسرائيل فى القرآن ـ **د . السيد رزق الطويل** .

ثالثا : كتب السنة .

صحيح البخارى .

صحيح مسلم .

صفوة صحيح البخارى ـ **الشيخ عبد الجليل عيسى** .

الموطأ للإمام مالك .

سنن ابن ماجة .

سنن الترمذى .

سنن أبى داود .

مسند الإمام أحمد بن حنبل .

رياض الصالحين ـ **للنووى** .

رابعا : معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ **محمد فؤاد عبد الباقى** .
الفهرست لابن النديم .

خامسا : معاجم لغوية .
معجم مقاييس اللغة لابن فارس .
الصحاح للجوهرى .
أساس البلاغة للزمخشرى .
القاموس المحيط للفيروزبادى

سادسا : كتب فى العقيدة .
شرح العقيدة الطحاوية ـ **على بن أبى العز الدمشق** .
تمهيد فى تاريخ الفلسفة ـ **الشيخ مصطفى عبد الرازق** .
عقيدة الإسلام منهج حياة ـ **د . السيد رزق الطويل** .
الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى ـ **د . محمد البهى** .
الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ **ابن تيمية** .
رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ **ابن تيمية** .

سابعا : مراجع تاريخية وأدبية .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ **لابن خلكان** .
الكامل ـ **للمبرد** .
البيان والتبيين ـ **للجاحظ** .
سيرة ابن هشام
اتحاف الورى بأخبار أم القرى ـ **لابن فهد** .
تاريخ الحضارة العربية ـ **لجوستاف لوبون** .
أسواق الذهب ـ **أحمد شوقى** .

ثامنا : من كتب التصوف .

نصوص الحكم ـ لابن عربي .

تائية ابن الفارض .

تاسعا : دوريات .

الأهرام ـ القاهرة .

الأخبار ـ القاهرة .

مجلة التوعية في الحج ـ مكة .

فهرس الموضوعات

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ التوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى أستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

كتب للمؤلف

كتب إسلامية

١ ـ بنو إسرائيل فى القرآن .
٢ ـ العقيدة فى الإسلام منهج حياة .
٣ ـ الدعوة إلى الإسلام عقيدة ومنهج .
٤ ـ بحوث فى القرآن نشرت فى دورية المركز الثقافى للمقاولون العرب .
٥ ـ القرآن واللغة العربية .
٦ ـ القرآن والتفكير .
٧ ـ القرآن وأهل البيت .
٨ ـ فى علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق .

كتب لغوية

٩ ـ النحو الوسيط ـ صدر منه الجزء الأول .
١٠ ـ أبنية الأفعال فى اللسان العربى .
١١ ـ الخلاف بين النحويين ـ تاريخ وتحليل وتقويم .
١٢ ـ بحوث نحوية بعنوان : من قضايا اللسان العربى .

تحت الطبع

١ ـ أساليب الشمول والاستغراق فى الدراسة النحوية .
٢ ـ اللسان العربى والإسلام معا فى معركة المواجهة .
٣ ـ الجزء الثانى من النحو الوسيط .



طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

المؤلف	الكتاب
[الدكتور عدنان محمد وزان]	٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر
[معالى عبد الحميد حموده]	٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة
[الدكتور محمد محمود عمارة]	٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام
[الدكتور محمد شوق الفنجرى]	٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى
[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]	٢٨ ـ وحى الله
[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]	٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن
[الأستاذ محمد عمر القصار]	٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]
[الدكتور السيد رزق الطويل]	٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج
[الأستاذ حامد عبد الواحد]	٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى
[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]	٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط
[الدكتور حسن الشرقاوى]	٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى
[الدكتور محمد الصادق عفيفى]	٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية
[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]	٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية
[الدكتور محمود محمد بابللى]	٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها
[الدكتور على محمد نصر]	٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث
[الدكتور محمد رفعت العوضى]	٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين
[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]	٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين
[الأستاذ محمد عبد الله فودة]	٤٥ ـ الطريق إلى النصر
[الدكتور السيد رزق الطويل]	٤٦ ـ الإسلام دعوة حق